وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية آدابها
شعبة نقد حديث و معاصر

الموضوع

الجاحظ بين الأصالة و المؤثرات الأجنبية

إعداد الطالبتين:
- واضح إكرام
- ميدون وفاء

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
* أمحمد داود

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
سفيان بلعجين	أستاذ	رئيـــــــــسا
أمحمد داود	أستاذ	مشرفا ومقررا
إبراهيم بوشريحة	أستاذ	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442 – 1443 هـ / 2020–2021 م

" لا أعرف رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ولا صاحبا

أظهر كفاية ولا أقل جناية ولا أقل تصلفا ولا تكلفا من كتاب"

الجاحظ

إهداء

أهدي ثمرة عملنا هذا إلى

نبض الحب والحنان، وصنيع الدفء والأمان، الوالدين الكريمين

إلى الأخوة والأخوات

إلى أساتذتنا الكرام

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد وأخص بالذكر الدكتور امحمد داود

إلى جميع الطلبة بقسم اللغة العربية والأدب العربي

مقدمة

يعتبر الأدب العربي القديم حقلا معرفيا واسعا من حقول الإبداع الإنساني الذي وصل إلى أعلى المنازل ، أو كما كان يقال وصل إلى ذروة الشموخ حتى انّه أعطى صورة واضحة عن بيئته وجذوره الممتدة منها وهذه القيمة التاريخية والفنية التي أسالت مدادا كثيرا من أقلام الباحثين والدّارسين المحدثين وفتحت المجال للمناقشة والدرس نظرا لإختلاف مناهجهم النقديّة في دراسة الشعر ورواده .

فهذا الأدب لا يزال محتفظا بكثير من بهائه وبريقه فيضرب بعضه بأشعار من الشعر الأموي أو العباسي أكثر ممّا يطرب لقصائد شعراء معاصرين .

لعل مجرد التفكير في موضوع واتخاذ السبيل في بحثه ، يعد أمرا صعب المنال باعتبار أصعب شيء بدايته ، وعليه فقد رسخ في ذهننا أنّه لا مناص من موضوع نستجلي أفكاره ونقتضي أبعاده ، وبخاصة إذا تعلق الأمر بشخصية فريدة نالت من الشهرة وذيوع الصيت في الثقافة العربية الإسلامية العلامة العربي الجاحظ شخصية لها شأن كبير في تكوينها العلمي وفي منجزها الأدبي والفكري الذي ظل اليوم أصدق تعبير عن صورة العصر العباسي ، فالتعامل مع ابداعه مغامرة لا يضمن الطالب نتائجها ، فهذا البحث يعتبر محاولة تتشبه بتلك الجهود الرائدة لتطرح الأسئلة التالية :

- ماهي أهم مميزات العصر العباسي التي ميزته عن العصور التي سبقته ؟
- إقتضى التوسع الجغرافي الذي شهدته الحضارة الإسلامية وفي طريق توسعها دخلت في حوار مفتوح مع مختلف المكونات الثقافية الأجنبية السائدة في تلك الفترة وفي مقدمتها التراث الفكري اليوناني ، فكيف ساهمت هذه المكونات الثقافية الأجنبية في بناء الحضارة العباسية الاسلامية ؟

- إذا كان الجاحظ من شخصيات المعتزلة البارزة الذي نقض أراؤهم فكيف نظر الجاحظ إلى النقد الأدبي من خلال تفكيره الإعتزالي ؟
- ماهي أهم القضايا النقدية التي إهتم بها الجاحظ وعالجها في كتاباته المختلفة وخاصة في البيان والتبيين والحيوان ؟
- لقد كانت للجاحظ معرفة بثقافات وعلوم الأوائل ومن بين هذه العلوم والثقافات، الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية التي مثلها أفلاطون وأرسطو إضافة إلى الثقافة الهندية فكيف تعامل الجاحظ مع هذه الثقافات من خلال مدوناته العلمية والأدبية ؟

وأثناء بحثنا وجمعنا للمادة العلمية وقع بين أيدينا كتابين مهمين تناولا هذا الموضوع، الكتاب الأول يحمل عنوان:

"الجاحظ والنقد الأدبي" لصاحبته : وديعة طه نجم ، الذي عالج الموضوع بالتركيز على الأصول الإعتزالية للنقد عند الجاحظ ، وقضيتي من القضايا التي عالجها الجاحظ في كتاباته وهما قضية القدم والحداثة وقضية اللفظ والمعنى.

أما الكتاب الثاني يحمل عنوان:"الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز" لصاحبه : مجيد عبد الحميد ناجي ، هذا الكتاب كذلك عالج الموضوع من خلال المؤثرات الأجنبية التي تأثر بها الجاحظ وبوجه خاص الأثر الإغريقي .

إنّ طبيعة الموضوع تقتضي بالضرورة اتباع منهج معين من شأنه أن يفي ببعض جوانب هذا البحث . وقد إعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي لتحديد ملامح شخصية الجاحظ وتتبع حياته وتوثيق آثاره العلمية .

ولما كانت حاجة البحث إلى الوصف والتحليل ، كان لزاما علينا اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لرصد المادة النقدية وتوظيفها وعرضها وتحليلها وكذلك لرصد الثقافات الأجنبية التي تأثر بها الجاحظ وتعامل معها ومن ثمة استنباط النتائج.

وقد وزعنا دراستنا على خطة رأيناها جديرة بالتكفل بالقضايا المطروحة وهي كالآتي:

مدخل تحت عنوان : الجاحظ والحضارة العباسية ، تناولنا فيه مولد الجاحظ ونشأته وحياته. وكذلك منزلته العلمية وما تركه من آثار علمية وأدبية .وتحولنا بعد هذا للحديث عن الحضارة العباسية وما تتميز به من علوم وآداب ، ثم عرجنا على أثر الثقافات الأجنبية في الحضارة العباسية.

أما الفصل الأول الموسوم ب: أصالة الجاحظ، فتناولنا فيه النقد الأدبي بصفة عامة بحكم مجال اختصاصنا هو الدراسات النقدية. أما العنصر الذي يليه ، فيتحدث عن القضايا النقدية عند الجاحظ، فحاولنا الإلمام بأهم القضايا النقدية التي وردت في طيّات كتب وخاصة في كتاب البيان والتبيين والحيوان وهي قضية اللفظ والمعني وقضية السرقات الأدبية وقضية القدم والحداثة .

أما الفصل الثاني الموسوم : بالجاحظ والمؤثرات الأجنبية تناولنا فيه الثقافات الأجنبية التي تأثر بها الجاحظ ودونها في مدوناته وعالجها ، فوضعنا عنوان معرفة الجاحظ بعلوم الأوائل من الثقافة الفارسية

والثقافة الهندية والثقافة اليونانية . ثم ختمنا بحثنا بأهم النقاط المستنتجة والمستخلصة من هذا البحث.

والواقع أنّ انشغالنا بهذا الموضوع نابع من الحاجة الملحة للإستفادة من النقد الأدبي العربي ، والرغبة في ميدان النقد نظرا للأهمية التي يتمتع بها هذا الحقل المعرفي والتجربة أكدت لنا ذلك .

ومما لاشك فيه أنّ أي بحث قد يشوبه ويعترض سبيله العديد من العراقيل والصعوبات لعل هذا راجع إلى سعة أفكار الجاحظ وما تتميز به من غموض. ولهذا كانت مهمة الإلمام بالقضايا المطروحة في البحث أمرا لا يخلو من الجهد والعناء.

و في الأخير نشكر الله عز و جل الذي وفقنا و أعاننا و أمدنا بالقوة و الإرادة، على إنجاز هذا البحث، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المحترم: الدكتور أمحمد داود الذي لم يدخر جهدا لمساعدتنا و إمدادنا بالنصائح و التوجيهات و التوصيات القيمة.

و نتمنى ان يكون عملنا المتواضع هذا الذي لا ندعي فيه الإبداع، ثمرة تضاف إلى هذا الحقل، لينتفع منه كل باحث تدفعه الضرورة للجوء إليه.

تيارت 13 /2021/07

الطالبتين:

✓ واضح إكرام

✓ ميدون وفاء

المدخل: الجاحظ و الحضارة العباسية

*الجاحظ

مولده:

يعد الجاحظ من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي, رجل فريد في زمانه، عظيم ببيانه وتبيانه، فكان بحق عالما في عصره الذي أعطاه وقعا في التاريخ فمن هو الجاحظ؟

"هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فرازة, الليثي الكناني"[1]"من بني كنانة بن خزيمة , لقب بالجاحظ لنتوء حدقته ودعي الحدقي كنيته أبو عثمان ،كان قصيرا ذميما, أسود اللون، ولد بالبصرة في أوائل سنة150هـ767م"[2]

قيل حسن السندوبي "وقد زعم بعض الرواة أنه كان مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الفقيمي النّسّاء، وكان إلى هذه الأسرة نساء الشهور في الجاهلية وكان القلمس من حكام العرب وذوي الرأي فيهم والرجحاء عندهم. وكان يحلل من الشهور ما شاء فتحل، ويحرم منها ما يرد فتحرم. كذلك كان بنوه من بعده. وما كان في العرب من يقف لأحد منهم في هذا الشأن، أو يخالفه فيه."[3]

فالجاحظ نشأ في هذه الأسرة و ترعرع ونمى فيها هو وآباؤه و أجداده. أول من ظهر منهم هو فزازة جد الجاحظ أسود اللّون[4] "أمّا ولادته فلم تعرف بالضّبط متى كانت ، فعلى الرّغم من أن

---

[1] حسن السندوبي، أدب الجاحظ(القاهرة, المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد بمصر،135م-1931م)ص10.

[2] حسين الحاج حسن, أعلام في النثر العباسي،ص87 نقلا عن نبيلة لخمي، عمرية بوفتر، دلالات الهزل في كتابات الجاحظ البخلاء نموذج ، جامعة آكلي محند اولحاج,البويرة2009-2010,ص13.

[3] المرجع السابق ص 10،11.

[4] ينظر حسن السندوبي، أدب الجاحظ (القاهرة المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد بمصر,1350م-1931م)ص11.

ياقوت الحموي أورد أن الجاحظ قال"[1]"أنا أسن من أبي نواس بسنة، ولدت في أول خمسين ومئة, وولد في آخرها "[2]"وجعل بعض المؤرخين ولادة الجاحظ سنة 155هـ"[3]

إذا الجاحظ بصري الأصل صورته وشكله وكنيته ليصبح أصدق مرآة لشخصية المصر العراقي العظيم في ذلك الوقت من خلال ما تتميز به من إزدهار العلوم المختلفة و استقرار المجتمع الاسلامي سياسيا وإقتصاديا وتمتع رجال العلم بحرية التفكير "فلا غنى لنا في هذه المعرفة عن العلم . لخصائص عصر الجاحظ !أول هذه الخصائص حرية الفكر"[4] .

وفي خضم ذلك لم يتأكد الأمر بخصوص الجاحظ ان كان من أسرة عربية أم إفريقية مشتتة هنا وهناك."إختلف المؤرخون والنّقاد في اصل الجاحظ ,فذهب بعضهم إلى أنه من أصل عربي ،وذهب البعض الآخر غلى أنه من العناصر الإفريقية التي تداخلت في العنصر العربي، والفريقان ينسبانه إلى كنانة أصيلا أو مولى"[5] وما يمكن التأكد منه وإتضحت رؤيته هو أن الجاحظ رجل فذ وشخصية كبيرة ،معلم العقل والأدب ألم بعلوم عصره إلماما ليصبح نابغة في العلم.

نشأته و حياته:

لم يكن الجاحظ متكامل الاسرة فقد كان يتيم الأب، أمّا أمه فلا يعرف عنها شيء سوى أنها فقيرة كانت تتكفل به وتتولى أمره وهو صغير الأمر الذي إضطره إلى مواجهة أعباء الحياة مبكرا فباع الخبز والسمك في منطقة السيد، ولكن رغم بساطة الطبقة الاجتماعية التي عاشها لم يترك الجاحظ العلم والمطالعة حتى أنه كان يكتري حوانيت الوراقين ويبيت فيها للقراءة والدراسة.

---

[1] عزة السيد أحمد, فلسفة الأخلاق عند الجاحظ(منشورات كتاب العرب, دمشق, المكتبة الإلكترونية أطفال الخليج ذوي الإحتياجات الخاصة,2005)ص10.

[2] ياقوت الحموي, معجم الأدباء-ج16- ص74 نقلا عن عزة السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ص10,11.

[3] ابن الجوزية, مرآة الزمان ص185 نقلا عن شارل بلّار، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء, ترجمة إبراهيم الكيلاني(دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر , دمشق,1961)ص90.

[4] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT1953)ص566.

[5] المرجع نفسه،ص566.

"ولما شب وتفتح ذهنه طلب العلم برغبة شديدة رافقته كل حياته، وأقبل على الكتب يطالعها بكد كيفما حصلت له ووقعت بين يديه"[1].

فالجاحظ نشأ في مدينة البصرة مهد العلم والأدب أي في وسط مفحم بالمضاربات العلمية والعقلية من قرآن وحديث وفقه ونحو وكلام وغير ذلك من الثقافة بل الحضارة التي فلذت إسم العرب، فراح يأخذ من علومها وثقافتها "وكانت البصرة مسقط رأسه، أكبر حواضر العلم والأدب بعد بغداد، وفي ذلك العصر يجتمع في مسجدها طائفة حسنة من علماء وأرباب الأدب والنحو واللغة عرفوا «بالمسجديين» فأقبل إليهم الجاحظ ليجالسهم ويأخذ عنهم الكثير بفضل ذكائه المتوقد وحافظته القوية، بعد أن تعلم القراءة والخط في أحد الكتاتيب ".[2]

فالبصرة أثرت في ذهنه تأثيرا فارقا وجاء بأصفى منتوجاتها العلمية والادبية ثم رحل إلى بغداد في سنة 204هـ فأخذ اللغة والأدب عن الأصمعي وأبي عبيدة وابي يزيد الأنصاري، والنحو عن الأخفش والحديث عن الحجاج بن محّمد. "وكان كثيرا ما يترك البصرة قاصدا غيرها من المدن الإسلامية المعروفة في ذلك العهد للبحث والإستقراء ولقاء العلماء ثم يعود إليها مفحم الوطاب بصنوف العلوم وضروب الآداب"[3].

وعليه ظلّ الجاحظ يطلب العلم ويتوسع فيه ليتطرق إلى قضايا أخرى في الدين "وظلّ هكذا يزاول فنون الأدب والأخبار واللغة والحكمة والكلام، ويعمل الفكر ويحلل، ويتوسع في ما حصله، حتى تمت له ثقافة راقية ،وتنبه عقله، فتمكن من التعرض لقضايا خطيرة في الدين فكان له مذهب واتباع".[4] إلى ان وافته المنية إثر سقوط صّنف من المجلدات على راسه ارداه قتيلا سنة 255هـ / 878م .

هذه صورة وجيزة عن حياة الجاحظ، التي نكاد نجهلها فقمنا بتصويرها من خلال اطلاعنا على مجموعة من الكتب لنتصور الجّو الذي كان يتصرف فيه الجاحظ فنستدل بالحاضر على الغائب .

---

[1] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT1953)ص566.

[2] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT1953)، ص566.

[3] حسن السندوبي، ادب الجاحظ(القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد بمصر،1350هـ-1931م)ص23

[4] المرجع السابق، ص567.

منزلة الجاحظ العلمية :

ليس بمقدورنا أن نصف للقارئ نابغة عربي فرد زمانه في الأدب "ما أحسب العالم جديراً سمة هذا الإسم الشريف الا اذا قام علمه على أساس متين من البحث و التحقيق ، و نهض على دعامة صحيحة من الاستقراء و التمحيص . كذلك لا ارى الاديب دقيقا باسم الأدب الا اذا شاد اركان أدبه على قواعد من الحفظ و سعة الرواية و بسطة الإطلاع و كثرة الإفتنان، وجعل قوامه الذوق السليم"[1] . فالجاحظ تميز بغزارة العلم و استقصاء البحث و بلاغة القول وقوة الحجة، شدة العارضة، كما أنه توسع في علم الكلام و أدخله مع فلسفة اليونان و سار على مذهب واحد في التوحيد "فكان بطبيعة الحال يتميز –كأي معتزلي آخر و ربما بشدة أكثر– بحرية التفكير، و الاعتماد على العقل إماما، و معيارًا أساسيًا في الشرع و استنباط الأحكام، و المعتقدات دون الاطمئنان الى الحديث والنقل على نهج المعتزليين، بل انه تجاوز ذلك الى رد الكثير من الأحاديث "[2] وشارك في سائر العلوم و كتب فيها " ولكنني تقريت فيما وقفت عليه من شؤون أحواله أنه كان عالما محققا بحاثا منقبا مستقرئا منقرا بكل ما تتسع له هذه الالفاظ من معان وأغراض"[3]. فالعلم والادب قرينان في كل ما كتب الجاحظ، تلقى الحقيقة العلمية في الكتاب الادبي، والطرفة الأدبية في الكتاب العلمي، ونحن نلتمس التعبير الأدبي حتى في كتب العلم، ويطالعنا المنهج العلمي في عرض الفكرة ومعالجتها، وهو دائما يذهب من المقدمات الى النتائج، ومن الخاص إلى العام، متبع طريق المنهج العلمي".[4]

من خلال هذا يمكننا القول على الرغم من إختلاف بعض النقّاد في منزلة الجاحظ العلمية إلا أننا نقتنع أن للجاحظ أثر عظيم كأديب وعالم من علماء الكلام، السياسة، الأخلاق، الأدب، التاريخ، النبات، الحيوان أبدع فيها جميعها و تكونت لديه ثقافة متنوعة ."اختلف النقّاد في قيمة الجاحظ العلمية، فمنهم من عدّ الرجل عالما من أكبر العلماء ومنهم من حط من شأنه العلمي. والحقيقة أنّ الجاحظ عالم وإن

[1] حسن السندوبي، ادب الجاحظ(القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد بمصر،1350هـ-1931م) ص77.

[2] فالح الربيعي،تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم(الدار الثقافية للنشر)ص107.

[3] المرجع السابق، ص78.

[4] فالح الربيعي،تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم(الدار الثقافية للنشر)ص111.

غلبت عليه الصبغة الادبية، ولكن علمه لا يخلو من أضاليل لضعف الوسائل العلمية لأيامه. فقد تناول الموضوعات العلمية واتبع اصول العلم في التحقيق"[1].

آثاره:

للجاحظ آثار كثيرة لاقت واسع الشهرة "لعله لم يعرف كاتب في العربية، لاقت مؤلفاته من واسع الشهرة وفائق الذيوع، ما لاقت كتب الجاحظ، على كثرتها وتنوع المقاصد والاغراض فيها، ومن المعروف أنه كان كلما وضع كتابا أو رسالة تهافت الناس على كتبها ونسخها وتداولها فيما بينهم".[2] فقد كتب في سائر العلوم وفنون الادب البارزة في زمانه، تنوعت بين العلم والفلسفة والادب كما امتازت بالبراعة في التعبير وسحر البلاغة في الاسلوب يجد القارئ متعة في قراءتها لما فيها من نوادر وتشويق وسخرية، فتبلغ جملة مؤلفاته عددا هائلا أكثر من مائتي كتاب أو رسالة إلا انها لم تصلنا كلها لأسباب تعود إلى الحروب وظروف الدهر التي عبثت به ولم تحافظ على هذا الإبداع والتراث الفكري فلسوء الحظ "قد ضاع الكثير منها ، وأما ما وصلنا فقد طبع معظمه، ولا يزال بعضه مخطوطا ومبعثرا في شتى الخزائن بين الشرق والغرب ."[3] إضافة إلى الأدباء التي كتبت على منواله فحدث اضطراب في صحة مؤلفاته من اهمّها:

البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، المحاسن والأضداد، كتاب التاج في اخلاق الملوك، رسائل التربيع والتدوير(كتبها الجاحظ يهجوا فيها أحمد بن عبدالوهاب، لها قيمة علمية وأدبية فنية تدل على سعة إطلاع الجاحظ تتضمن القضايا الفلسفية والعلمية، التاريخية كما تتجلى فيها أساليب الجاحظ اللاذعة)، البرصان والعرجان، التبصرة في التجارة، خلق القرآن، حجج الانبياء....إلخ أما في أكثرها أهمية تجلت في الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء.

---

[1] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT1953)ص587.

[2] حسن السندوبي، ادب الجاحظ(القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد بمصر،1350هـ-1931م) ص83.

[3] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT،1953)ص573.

1)الحيوان:

يعد كتاب الحيوان من أضخم كتب الجاحظ حجما وأكثرها شمولا لفنون العلم والأدب وله أهمية كبرى على صعد مختلفة. والحيوان كعنوان يحيلنا إحالة مباشرة إلى انواع الحيوان واجناسه واعضائه وأحواله "يشتمل هذا الكتاب على وصف طبائع الحيوانات"[1]، إستمدها الجاحظ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي وأقوال العرب، بالإضافة الى ذلك "لم يقتصر الجاحظ فيه على طبائع الحيوان بل راح يتوسع في غير الحيوان "لم يقتصر الجاحظ في كتابه على طبائع الحيوانات، بل شط عن موضوعه، وغايته، وأخرج كلامه مخرج الشمول العلمي والأدبي، فضمّنه معلومات واسعة في الحيوان وغير الحيوان، ومزج الجد بالهزل، والعلم بالأدب، والفكاهة بالمجون، مزجا غريبا".[2] إعتمد في هذا الكتاب اعتمادا كبيرا على كتاب الحيوان لصاخب المنطق ارسطوطاليس.

2)البيان والتبيين :

كتاب في الأدب آخر ما ألف الجاحظ بعد كتابه الحيوان، تمتزج فيه علوم البلاغة والادب والتاريخ، وهو في نظر النقاد إمام كتب الجاحظ وأهمها من غير منازع.

"هو كتاب في الأدب من آخر ما ألف الجاحظ، يتضمن مختارات من الأدب من آيات قرآنية، أو حديث أوشعر أو حكمة أو خطبة، ممزوجة بماله من آراء في مسائل مختلفة. قدمّه الجاحظ إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد. وزعم ياقوت أن المؤلف وضع من هذا الكتاب نسختين كانت الثانية منهما اصح وأجود. وقد طبع الكتاب في مصرسنة1936في ثلاثة أجزاء".[3]

---

[1] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT،1953) ص583.

[2] المرجع نفسه،ص584.

[3] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT،1953) ، ص578.

"أما كتابه البيان والتبيين فقد نثر فيه كثيرا من المسائل البلاغية، التي يبدو في بعضها التأثر بما كتبه اليونان واضحا. ويبدو أيضا أنّ الجاحظ أراد أن يكون إماما للبيان العربي كما كان ارسطو بالنسبة للبيان اليوناني".[1] فهو يحتوي على:

-إستنباط أصول البيان وبيان حقيقته وهو الكشف عن المعنى بالألفاظ تؤدي إلى الفهم والإفهام.

-ذكر محاسن ومساوئ الخطابة وشرح فنونها وأنواعها.

-خصاصة اللسان .

- التحدث على الالفاظ والتراكيب وعلى لهجات العرب في البدو والحضر.

- التحدث عن عيوب اللسان مشيرا الى أشهر الخطب والخطباء.

-علاقة البلاغة بالشّعر واللسان مستدلا بأدلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي القديم.

-الرّد على الشعوبية الذين حاولوا تشويه سمعة الإسلام والمسلمين بالتعريض ببعض أحوالهم الاجتماعية والأدبية كحملهم العصا عند الخطابة، فقد خصص الجاحظ فصلا طويلا في هذا الكتاب سمّاه "باب العصا" للرّد على الشعوبية.

- التحدث عن الشعراء والخطباء وعن الزهد والنسك والمعتزلة .

-نوادر الجاحظ التي شملت بعض الحمقى والمجانين.

أما أسلوبه كان انيق حلو بليغ وعذب بعيد عن التنميق اللفظي، وقد قام الجاحظ بإستخدام أجمل الألفاظ وأحسن التراكيب وأفضل التعبيرات فهو يعتبر عصارة تجارب كونت ثقافة الجاحظ المتعددة المجالات، لذا يعد الكتاب من روائع الكتب العربية حتى الأن .

3)البخلاء:

[1] مجيد عبد الحميد ناجي ، الاثر الاغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز(مطبعة الآداب. النجد الاشرف، ساعدت جامعة بغداد على نشره،1396هـ-1976م)ص68.

كتاب في الأخلاق ،جمع فيه الجاحظ نوادر البخلاء والاشحاء، "فصوّر حالاتهم المختلفة كما شاهدها أو بلغه خبرها، موردا طرائف مشاهيرهم متندرا بملح البخلاء من العلماء والأدباء، مثبتا ما يلحق ذلك من مناظرات بين الكرم والبخل وغير ذلك من الفوائد عن آداب العرب وعاداتهم في مآدب الضيافة".[1] يفتتح الجاحظ كتابه البخلاء بنظرة عامة على نفسية البخلاء فهو يعجب شديد العجب ممن فطن لبخله ومع ذلك يغالب طبعه وبعد هذه المقدمة يثبت الجاحظ رسالة سهل بن هارون في البخل الذي ذمّوا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكسب ثم ينتقل الجاحظ إلى موضوع البخل بقصة أهل خرسان ولا سيما أهل مرو، الذي طبعهم البخل ثم يتبعها بقصة أهل البصرة من المسجديين، وقصص زبيدة بن حميد الصيرفي، وليلى الناعطية، وأحمد بن خلف، وخالد بن يزيد، وأبي جعفر، والخزامي، والحارثي وغيرهم. ثم يثبت رسالة ابن العاص وابن التوام وفي الأخير يختتم كتابه بكلام على أطعمة العرب.[2] والكتاب يطلعنا على ناحية من نواحي المجتمع العباسي وطبائعهم.

*الحضارة العباسية:

بعد سقوط الدولة الأموية إثر الثورة العباسية التي "تعد هذه الثورة نهاية الثورات الكثيرة التي نشبت ضد بني أمية، وهي ثورات أراد بها اصحابها إلى الإصلاح الاجتماعي".[3]بعد الضعف والقنوط الذي أصابها وتردي الوضع الاقتصادي والتمييز العنصري الذي كانت تمارسه بين العرب وغير العرب في مختلف النشاطات، "فالعباسيون أقاموا دولتهم عن طريق الدعوة السرية لإمام هاشمي يخلص الموالي الفرس وغير الفرس من حكم بني أمية الجائر محققا لهم المساواة المشروعة –بحكم الاسلام– بينهم وبين العرب في جميع

[1] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT،1953)ص580.

[2] ينظر حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT،1953)،ص581.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العباسي الاول(الطبعة الثامنة، دار المعارف-1119كورنيش النبيل القاهرة ج.م.ع)ص09.

الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية".[1] "وأعلن العباسيون أنهم أصحاب الحق الشرعي في الحكم والخلافة".[2]

عرفت الحضارة العباسية بعصر الاسلام الذهبي حيث أنها فرضت نفسها على الأدباء فرضا سواءا في الحياة السياسية وما يجري فيها من نظم وأحداث مختلفة أو الحياة الاجتماعية المتشبعة بالتحضر والترف والشغف بالفن وإغراق في المجون والزندقة والزهد أو الحياة العقلية العلمية التي توسعت حركتها بعدما كانت منحصرة وضيقة في العصر الأموي "وأهم سبب في ذلك أن العلم كله في عهد الامويين كان على يد رجال الدين تقريبا"[3].والذي ساعدها على ذلك هو تغلغل العنصر الفارسي في شؤون الخلافة "فرأينا العلوم الدنيوية تفيض فيضا في المملكة الاسلامية، فتترجم الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة"[4]."فالطب والرياضة والهيئة وغيرها إعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق. وهذه –على العموم– ظاهرة جديدة في العصر العباسي وإن كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس ومسيرهم العقلي".[5] "ففي هذا العصر كما لاحظ الذهبي وضعت في اللغة العربية أسس كل العلوم –تقريبا–فقلّ أن نرى علما إسلاميا نشأ بعد ولم يكن قد وضع في العصر العباسي، وضع تفسير القرآن، وجمع الحديث ووضعت علومه، ووضع علم النحو، وألف فيه سيبويه كتابه الخالد، ووضعت كتب اللغة ورسم خطتها الخليل بن أحمد كما وضع العروض، ودوّنت أشعار العرب في المعلقات التي دوّنها حماد الراوية والمقفع التي دوّنها المفضّل الضبي، والأصمعيات التي دوّنها الاصمعي، ووضع الجاحظ أساس الكتب الأدبية وحذا حذوه ابن قتيبة والمبرد وغيرهما. ودوّن الفقه على يد الأئمة وتلاميذهم، ودوّن التاريخ الواقعي

[1] شوقي ضيف، تاريخ الادب في العصر العباسي الثاني(الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر1119كورنيش النيل، القاهرة ج.م.ع)ص09.

[2] المرجع نفسه ص09.

[3] أحمد أمين، ضحى الاسلام(القاهرة بمصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2013)ص388.

[4] المرجع نفسه، ص381

[5] المرجع نفسه، ص381.

وابن إسحاق وأمثالهما"[1].دون أن ننسى المراكز العلمية التي أنشئت في هذا العصر لتلقي العلوم "وقد ذهب الذهبي إلى أن « نظام الملك » الذي إستوزر للسلاجقة من سنة456م إلى سنة 485م هو أول من أنشأ المدارس، فبنى مدرسة بغداد، ومدرسة ببلح، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل."[2] "والذي يظهر لي أن العلم تأثر بالدولة العباسية تأثرا كبيرا بعض هذا الاثر الواضح ينكشف بأقل بحث، وبعضه غامض عميق لا ينجلي إلا بطول النظر وإعمال الفكر".[3]

يمكننا القول أن العصر العباسي إمتاز بالثقافات والعلوم والحركات العلمية ما يؤهله بأن ينال لقب العصر العباسي الذهبي.

*أثر الثقافات الأجنبية في الحضارة العباسية:

"لا يمكن لباحث أن يدرس حضارة أية أمة من الأمم بمعزل عن التأثيرات الأجنبية الخارجية التي طرأت عليها. وما العلوم أيا كانت إلا وليدة النضج الانساني والتجربة الإنسانية، وليس وليدة أمة من الأمم وهذا لا يعني أننا نسبنا علما من العلوم إلى أمة من الأمم، فقلنا الفلسفة اليونانية والفلك الهندي ...إلخ"[4] الذي يعتبران من أكثر الثقافات الوافدة عن طريق الإتصال المباشر والترجمة والنقل، كما أنّ لهما الأثر الكبير على الأدب العربي والتي تلقاها العرب وساهمت في تطور العلوم والمعارف العربية وأفادتها في الفلسفة والمنطق خاصة في العصر العباسي الذي نشطت فيه حركة الترجمة والتأليف عند العرب "ومن أشهر التراجمة في زمن

[1] أحمد أمين، ضحى الاسلام(القاهرة بمصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2013)ص381.

[2] المرجع نفسه،ص415.

[3] أحمد أمين، ضحى الاسلام(القاهرة بمصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2013)،ص394.

[4] مجيد عبد الحميد ناجي ، الاثر الاغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز(مطبعة الآداب. النجد الاشرف، ساعدت جامعة بغداد على نشره،1396هـ-1976م)ص15.

المنصور : أبو محمد عبد الله ابن المقفع، وهو فارسي دخل في خدمة عيسى بن علي عم الخليفتين العباسيين الأول والثاني، وأسلم على يديه، وقد عدّ بعض الناس إسلامه نفاقا."[1]

فكما تكلمنا سابقا أن العصر العباسي كثرت فيه الثقافات العلمية "فكان للثقافات العلمية امتزاج وتزاوج وتوليد، وقد كان في الأجناس مميزات مختلفة، كل جنس له مزاياه وله عيوبه، وكانت عملية التوليد تنشئ من تلقيح دم بدم، فينشأ جنس جديد له مزايا الجنسين، وعيوب الدمين، وله خصائص أخرى ليست في الجنسين، فكان كذلك الشأن في الثقافات، كان هناك لقاح بين الثقافات، ونشأ من هذا اللقاح ثقافات جديدة، تحمل صفات من هذه وتلك، وصفات جديدة لم تكن في هذه ولا في تلك، وأصبح لها طابع خاص يميزها عما سواها."[2]"أما كل هذه الثقافات كانت لها منطقة «نفوذ» لا تكاد تزاحمها فيها الثقافات الأخرى ، فالعلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة وفلك وطب وما إليه، وفلسفة وما إليها كانت منطقة النفوذ اليوناني، تزاحمها فيها الثقافة الهندية ، ولكن مزاحمة غير عنيفة، فأسباب هذه الأشياء كلها عند المسلمين هو الأساس اليوناني"[3] .

وذلك لتعزيز كل ثقافة لمبادئها وإفهام الناس على أنها خير أنواع الثقافة.

الثقافة الفارسية والثقافية اليونانية(كتابات أرسطو) كان لها الأثر الأكبر في عقول الناس كما كان هناك ثقافات أخرى هي ثقافات دينية أهمها النصرانية واليهودية والتي أثرت سلبيّا البيئة العباسية والإسلام.

[1] مجيد عبد الحميد ناجي ، الاثر الاغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز(مطبعة الآداب. النجد الاشرف، ساعدت جامعة بغداد على نشره،1396هـ-1976م)ص41.

[2] أحمد أمين، ضحى الاسلام(القاهرة بمصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2013)ص159.

[3] المرجع نفسه، ص337.

الفصل الاول:

اصالة الجاحظ

المبحث الأول: النقد الادبي عند الجاحظ

المبحث الثاني: القضايا النقدية عند الجاحظ

قضية اللفظ و المعنى

قضية السرقات الادبية

قضية القدم والحداثة

المبحث الأول: النقد الادبي عند الجاحظ

الجاحظ ذلك المتطلع بنفسه على المعرفة والمهتم بكل ما يحيط به، الأمر الذي جعله بأن يكون من أكبر النقاد وأصحاب الرأي في الأدب العربي شعرا ونثرا. جمع فيها بين الأصالة والعراقة والإبداع واللغة ما جعل أدبه قادرا على التجدد عبر العصور رغم تجذره في روح عصره. فجاءت آراؤه النّقديّة فيها من الإتساع والتنوع متأثرة بين آثاره خاصة في كتابي البيان والتبيين و الحيوان.

*النقد الأدبي عند الجاحظ:

استعملت كلمة النقد لمعان مختلفة فهي في الأصل مأخوذة من" نقد الصيرفيّ الدراهم والدنانير وانتقدها أي ميّز صحيحها من زائفها وجيدها من رديئها. ومن معانيها أيضا النّقاش يقال: ناقد فلان فلانا في الأمر، إذا ناقشه فيه"[1].كما استعملت أيضا بمعنى العيب والانتقاص يقول الدكتور أحمد أمين"وهي كلمة تستعمل عادة بمعنى العيب، ومنه حديث ابي الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك: أي إن عبتهم"[2]

أما مفهوم النقد في الإصطلاح:"هو تحليل القطعة الأدبية مالها من قيمة فنية ولم تأخذ الكلمة هذا المعنى إلاّ في العصر العباسي"[3].أي تحليل الأثر الأدبي الذي يعتبر موضوعا له، فيحلله ويقيمه ويبين مستواه. "وسوآءا كان النقد علما أو فنا فإنه ليس قائما بذاته، وإنّما هو متصل بالأدب، يستمد منه وجوده، ويسير في ظله، يرصد خطاه و إتجاهاته"[4]. أي منذ أن وجد الأدب وجد النّقد وسار معه الأدب سيرا متوازيا علوّا وهبوطا، وجودة و إنحطاطا ومثلما عرف المجيدون من الأدباء والشعراء في العصور المختلفة عرفوا كذلك زمرة من النقاد الذين تصدّوا للأثر الأدبي ونقدوه وميزوا الجيد من الرديء والمصيب من المعيب "فلم يكد

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)ص08.

[2] أحمد أمين، النقد الأدبي (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2013 القاهرة)ص14.

[3] شوقي ضيف، النقد الأدبي (دار المعارف1119 كورنيش النيل، القاهرة)ص09

[4] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)ص07.

الشاعر الاول يلبث أو الخطيب الأول، يلقي بكلماته حتى بانت على وجه السامع انطباعات و ملامح ، هي صدى تأثره، ولم يلبث أن أبدى استحسانه أو استهجانه بشتّى الوسائل. وهذه أولى خطوات النقد الأدبي"[1] . أي القدرة على التمييز ثم يعبر منها إلى التفسير و التعليل والتحليل و التقييم خطوات متصلة مع بعضها البعض لا معنى للواحدة دون الاخرى متدرجة على هذا النسق لكي يتخذ الناقد موقفا واضحا ،ولكن الآن صار النقد علما يتخصص فيه، يخضع لقواعد وقوانين تدرّس كما يخضع كل علم لا يعتمد فيه على الخبرة فقط. يقول أحمد أمين :"والناقد على العلوم يجب أن يكون ذا حظ كبير من العقل، وحظ كبير من الذوق.و يتجادل الباحثون في انه هل لابد للناقد من معرفة آداب أخرى حتّى يمهر في نقد لغة أوليس بضروري . وعلى كل حال فاطلاعه على الآداب الأخرى يوسع أفقه و يزيد تجاربه. والنقد الأدبي يخضع لقواعد خاصة كما يخضع كل علم وكما تخضع الفلسفة، وهذه القواعد مأخوذة بعضها من الفلسفة، وبعضها من علم النفس، وبعضها من الأخلاق ، وبعضها من علم الجمال."[2]

من المعروف أن العصر العباسي الذي عاش فيه الجاحظ هو عصر الثقافة ورقي الدولة الإسلامية و النهضة العلمية المتمثلة في نهضة التعليم والإهتمام الشديد بالفنون و الآداب ، نضجت فيه مختلف العلوم الشرعية و المذاهب الفقهية أي تفرع العلوم والمذاهب "فالعصر العباسي عصر المرحلة الرابعة من تاريخ الأدب، عنيْنا بذلك الإستقرار والإزدهار برغم الفتوحات الكبيرة و الانتشار، أو قل :عصر تفرّع العلوم و المذاهب، وامتزاج الثقافات والترجمة والتدوين وصهر الحضارات ، عن طريق التفكير الحرِّ والمعالجة الشاملة. فيه انكب الناس على التأدّب و التعليم."[3] وكان هذا نظرا لتشجيع الحكام و الخلفاء للعلم وإهتمامهم وحرصهم الشديد على مجالسة العلماء ،و النظر إليهم بكل احترام و تقدير ممّا أثر على مجرى الحياة الثقافية بشكل عام وفي الأدب على وجه الخصوص "إزدهر بالرواية و الجمع

[1] محمد علي زكي صبّاغ ،البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت،صيدا،1418هـ-1998م)ص84.

[2] أحمد أمين، النقد الأدبي (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2013/08/26 القاهرة)ص14

[3] محمد علي زكي صبّاغ ،البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت،صيدا،1418هـ-1998م)ص22.

والتأليف والمناظرات، فضلا عن النقل و الترجمة في كل حقل من حقول المعرفة.ممّا لم يكد يسبق له مثيل"[1].

فهو يعتبر بيئة جديدة تصارعت فيها الأفكار و اتسعت لتنطوي تحت جناحها العديد من الشعوب و العناصر والأجناس و الأمم و القبائل لكل منها عاداتها و تقاليدها و ثقافاتها تمازجت بالمعارف و الثقافات مهدت لقيام نهضة فكرية و علمية عالية. "ومن ألمع مظاهر النهضة العلمية في ذلك العصر حركة الترجمة و النقل من كتب الامم الأخرى و علومهم إلى اللغة العربية."[2]

برزت النهضة العلمية في هذا العصر في ثلاث مظاهر:

1–**حركة التصنيفّ**: في مختلف العلوم الإنسانية و الدينية و التاريخية و الجغرافية المتداولة التي مهدت أرضية خصبة للعلم والأدب.

2–**حركة العلوم الإسلامية**.

3–**الترجمة و اللغات الأخرى**: ترجمة من سائر اللغات إلى اللغة العربية و التي تركت هذه الأخيرة تأثيرا غير قابل للإنكار على نشاط النقد الادبي الذي راح يتغير إلى العالم الخارجي تغييرا جذريا يختلف عن سابقيه من العهود.

إذا وصلنا إلى النقد في العصر العباسي نرى توسعا في الحضارة و الثقافة التي شملت فروع المعرفة عن طريق اتصال العرب بالثقافات الأجنبية من فارسية و هندية و يونانية ممّا أثر في سير خط النّقد إلى الأمام حيث سعى إلى الإبتعاد عن الإحساس الذاتي العاطفي و عن العصبيات معتمدا التحليل و البرهان أي الفكر التحليلي بعدما كان يعتمد على الذوق الفطري تحول إلى ذوق مثقف ثقافة علمية واسعة يقول شوقي ضيف"النقد في عصوره الأولى لا يزال فطريّا، يعتمد على الإحساس و الذوق البسيط، ثم انتقلنا

[1] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي (قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الكويت، كلية الآداب ،الحولية العاشرة،1418هـ-1998م)ص15

[2] فوزي السّيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين(مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة، 2005)ص17

معه حين ارتقت حاسة النقد في العصر العباسي كما ارتقت حياة العرب الإجتماعية و العلمية و الفلسفية، فقد حدث تغيير واسع في عقلية القوم و أخذوا يضعون قواعد اللغة والنحو والعروض ويسألون: ما البيان وما إعجاز القرآن وما البلاغة وما الأسلوب ؟ ولم يكتفوا بالإجابة العارضة بل أخذوا يطلبون مبادئ و أصول ومقاييس يقيسون بها جودة الكلام و رداءته وجماله وقبحه. "[1]

ولما كان النّقد الأدبي في العصر العباسي استمرارا للنّقد في العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام و العصر الأموي قبل التطرق إلى النقد في العصر العباسي سوف نتطرق لمعالجة بعض المواقف النقديّة في العصور التي سبقته (الجاهلي، الإسلامي والأموي) بإيجاز و مدى تطور النّقد في هذه العصور.

أ–العصر الجاهلي:

اعتمد النقد في هذا العصر على السليقة و الفطرة لينسجم مع الطبيعة الجاهلية لا يتبع قانونا أو قاعدة معينة، أي أنّ النّاقد يستوحي وجدانه الخاص لا يرجع إلى مقاييس دقيقية.

والمتتبع لحركة النقد في اخريات العصر الجاهلي يرى أن نشاطه كان يتمثل في أسواق العرب، وفي المجالس الأدبية العامة، وفي ارتحال الشعراء إلى ملوك الحيرة والغساسنة. ففي هذه الأماكن المختلفة كان العرب يجتمعون لإلقاء الشّعر ويحكمون بها على الشّعر والشعراء أي يتناقدون أشعار بعضهم البعض، فكان هذا من عوامل ترقيق ألفاظ الشّعر وتهذيبه ونهضة النّقد المتصل به، ومن خلال هذه الملاحظات "يمكن القول أنّ النّقد في العصر الجاهلي كان مبنيا على الذوق الفطري لا الفكر التحليلي، نقد غير مسبب غير معلّل، يقف عند الجزئيات، فإذا انفعل الناقد ببيت أو أبيات أو قصيدة واحدة لشاعر قالها جعله أشعر الناس فحكمه كان عاما (التعميم في الحكم). وهذا نقد يفتقد إلى استدلال متين غير معلل غير مشفوع بحيثياته."[2]

من الشواهد التي تدل على وجود النّقد في العصر الجاهلي يروى أن طرفة بن العبد سمع المسيّب ابن علس يقول:

---

[1] شوقي ضيف، النقد الأدبي(الطبعة الخامسة، دار المعارف 1119كورنيش النيل، القاهرة)ص05.

[2] ينظر عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)ص20-21.

"وقد اتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصّيعريّة مكدم"[1]

"فقال طرفة : إستنوق الجمل، لأنّ الصيعري سمة في عنق الناقة، لا في عنق البعير"[2].

وهذا يدل على الذوق النقدي لطرفة بن العبد.

"ومن ذلك القصيدة التي تزعم أنّ امرأ القيس وعلقمة بن عبدة تنازعا في الشّعر أيهما اشعر ، واحتكما إلى أم جندب زوجة امرئ القيس التي طلبت منهما أن ينظم كل واحد قصيدة يصف فرسه فيها وليلتزم وزنا واحدا وقافية واحدة :"[3]

"قال امرؤ القيس :

خليليّ مرّا بي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذّب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كلّ هذا التجنّب

فقالت لأمرئ القيس علقمة أشعر منك .

قال: كيف ذلك؟ فقالت :لأنك قلت

فاللسّوط ألهوب وللساق درّة وللزجر منه وقع أهوج منعب

فجهدت فرسك بسوطك ومربيته بساقك. وقال علقمة :

فأدركهنّ ثانيا من عنانه يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب"[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ج4ص457 وينسب هذا البيت ايضا إلى المتلمس.

[2] أحمد أمين ، النقد الأدبي (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2013/08/26، القاهرة)ص358.

[3] شوقي ضيف، النقد الأدبي(الطبعة الخامسة، دار المعارف 1119كورنيش النيل، القاهرة)ص25

[4] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)ص22-23.

أم جندب حكمت بتفوق علقمة وهذا حكم غير موضوعية فيه، حتى وإن كانت قصيدة علقمة أجود من قصيدة امرئ القيس ومع ذلك وقفت عند جزئية فقط فعلقمة أشعر من أمرئ القيس في هذه الجزئية ولكن امرئ القيس أشعر من علقمة في القصيدة كلها وقد يكون العيب في فرس زوجها[1].

تلك أبرز المحاور والنماذج النّقديّة التي كانت في العهد الجاهلي وهي ثمرة نقد أولي يعتمد على الذوق والإحساس الساذج.

ب-عصر صدر الإسلام:

جاء الإسلام فتغير وجه النّقد بسبب وجود القرآن والأحاديث النبوية والقيم الجديدة التي لم تكن في العصر الجاهلي واهتمام النقاد بمسائل أخرى غير المسائل العادية المعروفة من قبل(الألفاظ والمعاني، الموسيقى ، النغمة في الوزن...إلخ) كما قام النقاد بتقسيم الشعراء إلى طبقات وبينوا ميزة كل طبقة "فحركة النقد في هذا العصر تلتمس أكثر مما تلتمس في مواقف الراشدين انفسهم من الشعر والشعراء وآراؤهم في ذلك، كما تلتمس في الملاحظات النّقديّة التي صدرت عن بعض معاصريهم من الصحابة والشعراء."[2]الذين ساهموا في نهضة النقد وتوسيعه وتوجيهه يقول عبد العزيز عتيق" كان عمر أكثر الخلفاء بل أكثر رجال عصره أثرا في ميدان النّقد الأدبي والتأثير فيه حتى ليعد بحق الناقد الأول في هذه الفترة، وقد أهّله لذلك استعداده الأدبي الفطري، وعلمه بالشّعر وتذوّقه له"[3] .

من الشواهد النّقديّة في ذلك العصر استحسان الرّسول صلى الله عليه وسلم لقصيدة كعب ابن زهير (بانت سعاد)التي يقول فيها :

---

[1] ينظر شوقي ضيف، النقد الأدبي(الطبعة الخامسة، دار المعارف 1119كورنيش النيل، القاهرة)،ص25.

[2] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)ص60.

[3] المرجع نفسه،ص98.

"إنّ الرّسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول "[1]

"ويقدّم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه النابغة ويقول: أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا، وأبعدهم قعرا"[2]

من خلال هذا نقول أنّ النّقد في العصر الإسلامي نمى ولكن في حدود العصر الجاهلي أي لا يزال يعتمد الذوق والشعور حتى يدخل في طور جديد ويتوسع أفقه في العصر الأموي، قال شوقي ضيف:" إذا فالعصر الإسلامي كالعصر الجاهلي من حيث إنّ النّقد لايزال فطريّا غير معلل، ومن حيث إنّ مذاهبه ومدارسه لم تنشأ، فعلله ومقاييسه إنّما توضع، ومدارسه ومذاهبه إنّما تنشأ في العصر العباسي"[3]

ج- العصر الأموي :

شهد هذا العصر نهضة في الحياة الأدبية بنهضة الشّعر الجديدة في كل من الحجاز والعراق والشام والتي صحبتها نهضة أخرى في النقد الأدبي والحركة النّقديّة، "ففي الحجاز اتجه النّقد في معظم المواقف إلى الدّقة والعذوبة، وفي بيئة العراق حيث البصرة والكوفة ظهرت الاتجاهات العربيّة الأصيلة التّي امتزجت بالثقافات الأخرى، أمّا بيئة الشام فقد جمعت بين الاتجاهين السابقين"[4] .

وهذه النهضة الأدبية في العصر الأموي تدل على أنّ النّقد في هذا العصر راح يلتفت على جوانب لم يلتفت إليها النقاد السابقون" والمطلع على تاريخ النقد الادبي في العصر الأموي يدهشه ما يرى من اهتمام عام بالنّقد على جميع المستويات وبين مختلف الطبقات. فالنّقد الأدبي في هذا العصر قد أسهم فيه الرجال والنساء والشعراء وغير الشعراء، كل على قدر ذوقه وفهمه وروحه ونوع ثقافته"[5].

---

[1] انتصار عمر محجوب ادريس، حركة النقد الأدبي في العصر العباسي الأول(رسالة الماجستير، منشورة، جامعة أم درمان، السودان،1427هـ-2006م)ص38.

[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الاول (الطبعة الاولى1335هـ-1907م) ص78.

[3] شوقي ضيف، النقد الأدبي(الطبعة الخامسة، دار المعارف 1119كورنيش النيل، القاهرة)ص39.

[4] النقد الادبي بين القدامى والمحدثين العربي حسن درويش ص46-47 نقلا عن انتصار عمر محجوب ادريس، حركة النقد الأدبي في العصر العباسي الأول(رسالة الماجستير، منشورة، جامعة أم درمان، السودان،1427هـ-2006م)ص40

[5] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)ص113.

ومن أبرز شواهد النّقد الأدبي في ذلك العصر نجد الناقدة سكينة بنت الحسين ومن ذلك موقفها مع عروة بن أدينة فقالت له ألست القائل:

" إذا وجدت أوار الحبّ في كبدي اقبلت نحو السقاء الماء أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحرّ على الاحشاء يتّقد"[1]

فقال لها : نعم .فقالت: وأنت القائل:

"وأثبتها سرّي فتحـــــت بـــه قد كنت عهدي تحبّ السّتر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري"[2]

"هؤلاء أحرار وأشارت إلى جواريها إن كان هذا خرج من قلب سليم"[3]

بدأنا بالنقد في العصر الجاهلي فكان نقدا مبنيا على الذوق الفطري. فإذا استساغ الناقد ذوقه الفطري قصيدة أو جزءا من القصيدة إندفع إلى التعميم في الحكم ولم يقف النّقد على هذا الذوق السليم ولكنه تجاوز وإتجه إلى الناحية العلمية على أيدي اللغويين والنحاة. ففي العصر الإسلامي أو الخلفاء الراشدين أخذ النّقد نوعا من الأحكام المعللة إلى أن تفطن النقاد في العصر الأموي إلى بعض أمور وقع فيها الشعراء وعدّوها من عيوب الشّعر ولهذا أرسو مقاييسهم في نقد الشعر والمفاضلة بين الشعراء على أسس علمية. وهكذا قبل القرن الثاني الهجري الذي قامت فيه الدولة العباسية على أنقاض الدولة الاموية، وقد تطور النّقد الأدبي واتسعت مجالاته، وتنوعت صوره وإتجاهاته.[4]

---

[1] ديوان عروة بن أذينة ، الطبعة1996،01م،بيروت ص29. نقلا عن انتصار عمر محجوب إدريس، حركة النّقد الأدبي في العصر العباسي الأول(رسالة الماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان 1427هـ-2006) ص40 .

[2] عن ديوان عروة بن أذينة،ص33 نقلا عن انتصار عمر محجوب ادريس، حركة النقد الأدبي في العصر العباسي الأول(رسالة الماجستير، منشورة، جامعة أم درمان، السودان،1427هـ-2006م)ص40.

[3] وفيات الأعيان، الجزء الثاني، ص294. نقلا عن انتصار عمر محجوب ادريس، حركة النقد الأدبي في العصر العباسي الأول(رسالة الماجستير، منشورة، جامعة أم درمان، السودان،1427هـ-2006م)ص41

[4] ينظر عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص270،268،267.

ونتيجة لهذه التحولات والثروات العلمية والأدبية الجديدة من الطبيعي أن يتأثر النّقد الأدبي ويتحول من ذوق فطري إلى ذوق مثقف ثقافة علمية وخاصة في العصر العباسي الذي شهد هذه التحولات بشكل كبير على المستوى العلمي والأدبي.

هذه هي الصورة التي كان عليها واقع النّقد في زمن الجاحظ وصورها أبي عثمان الجاحظ في كتاباته التي بيّن فيها إتجاهين مختلفين يتميز كل منهما بمميزات ونظريات بارعة.

"**الاتجاه الاول**: غلبت عليه الأصول العربية، يستوحي أحكامه من اللغة و البيئة و التاريخ وجميع ما يتصل بالحياة العربية، وأصحاب هذا الإتجاه إنطلقوا من دراساتهم، بالدرجة الأولى، من الأصول العربية، لغة ونحوا وأخبارا وأشعارا....

وخير من يمثل هذا الإتجاه عامة اللغويين والرواة، أمثال: أبي عمرو بن العلاء، الأصمعي، أبي عبيدة....

الإتجاه الثاني: إتجاه جماعة طعمت ثقافتهم بثقافات أجنبية، وكان من ابرزهم طبقة الكتّاب الذين تحتل الثقافة الفارسية مكانة كبيرة من تكوينهم الشخصي وأساليبهم ..وطبقة المتكلمين الذين انطلقوا نحو دراسة التراث الإسلامي نتيجة إحساسهم القوي بتحدي الثقافات الأجنبية.

ولعل خير من يمثل هذا الإتجاه بين الكتاب، خاصة ابن المقفع، وهو من أقدم الكّتاب الذين نقلت عنهم آراء في الأدب الإنشائي، وسهل بن هارون الكاتب الذي كانت له صلة وثيقة بالأصول الفارسية"[1]

. الإتجاه الأول يحكم مواقفه النّقديّة تلك المباحث الواسعة المنطلقة من القرآن لغة وبلاغة وأسلوبا.. وإمتدت مسيرتها إلى التراث العربي، نحوا ولغة ، ثم بلاغة وشعرا وأدبا... ممّا جعل الجاحظ يقف موقف عدم القبول من هذه الجماعة بقوله: «..ولم أر غاية النحويين إلاّ كل شعر فيه إعراب ولم أر غاية رواة الأشعار إلاّ كل شعر فيه الشاهد والمثل..»

[1] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي،ص18

هذا ما يؤكد موقف الجاحظ المتحفظ من مذاهب بعض شيوخه من الشّعر المرويّ بالإضافة إلى ذلك يصور الجاحظ اللغويين والإخباريين في إقبالهم على الشّعر أنّه تتحكم فيه ظروف وأسباب لا يؤدي إلى تذوق الشّعر وفهمه. في قوله:

«..وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحي بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة ومع من جالست من رواة البغداديين، فما رأيت احدا منهم قصة إلى شعر النسيب فانشده. وكان خلف يجمع ذلك كله ».

أما الإتجاه الثاني من النقاد الذي عرض الجاحظ أراؤهم في كتاباته المختلفة والذين تأثروا بالثقافات الأخرى إلى جانب الثقافة العربية فجاءوا بعناصر جديدة على مفاهيمهم ومن ثمة على آراؤهم النّقديّة في البلاغة العربية والشّعر العربي، الذي لم يتناولها من قبل رواة الشّعر واللغويين العرب...وخير مثال على ذلك كله ولأول مرة نجد أنّ البلاغة لا تقتصر على الخطابة وإنّما إمتدّت لتشمل فنونا عديدة من الأدب المنطوق والمكتوب شعرا ونثرا.

فمن خلال ذلك نجد أنّ وجوه البلاغة التي تفوق فيها العصر العباسي هي بلاغة الإحتجاج في المناظرات وبلاغة الجواب وبلاغة الرسائل في النثر الأدبي. على عكس الدّارسين التقلديين الذين إنعكست نظرتهم في أنّ البلاغة هي الخطابة أي أنّها تتناول بالدّرجة الأولى كل ما يتصل بالخطيب من صفات ظاهرة كالهيئة لتعتبر عامل من بين العوامل المؤثرة في الخطاب المباشر لدى المستمع. فالبلاغيين مثل ابن المقفع أو سهل بن هارون تتميز بلاغتهم بإضافات جديدة جمعت بين العناصر العقلية والعناصر النفسية في الحكم على المتكلم المخاطب للناس خاصة. فالجاحظ وجه نظره إلى شخصية سهل بن هارون لمعالجة قضايا في البيان والبلاغة[1].

وفي ظل هذه النظريات البارعة جاءت المعتزلة بجماعة البيان والحجة الذين أعطو للبلاغة سمات بلاغية عقلية مميزة، فضلا عن السمات والمميزات البلاغية المتعارف عليها، هي عقلية جديدة لم تكن في الأحكام

[1] ينظر وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي(قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الكويت،حوليات كلية الآداب-الحولبة العاشرة 1409هـ-1988م،الرسالة التاسعة والخمسون)ص24،23،20،19،18.

التقليدية فقد كان الجاحظ من شخصيات المعتزلة البارزة الذي نقل أراؤهم ووسعها في الرؤية النّقديّة "ومن الواضح أن المعتزلة تنطلق، في مواقفها النّقديّة من المبادئ الإعتزالية الأساسية التي تستوحي منها النتائج. ويعد تأويل المعتزلة لفكرة إعجاز القرآن فريدا في ذاته بين المحاولات العقلية الأولى التي تناولت الموضوع. ولا ينفك تأويلهم عن مبادئ الإعتزال الأساسية في القول بالعدل والتوحيد وحرية الإستطاعة وخلق القرآن..إلخ. ولقد كانت محاولات المعتزلة بوادر أولى في تطور النقد الأدبي، لا يخفى اثرها في العصور التالية"[1].

تميز فكر المعتزلة بإحكام العقل وتقليده مكانة رفيعة في العلم والدين والحياة.

تقوم المعتزلة على الأصول الخمسة التالية:

أ–التوحيد:

وينص على أن الله واحد ليس كمثله شيء وصفاته هي عين ذاته أي أنّها من الذات الإلهية.

ب– العدل:

وهو الذي يوجب حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، فلا معنى للعدالة الإلاهية إن لم يكن الإنسان مخيرا.

ج–خلق القرآن:

كانت نقطة الخلاف الكبرى بين المعتزلة وبقية طوائف الإسلام، ففي حين إفترضت الحنبلية كون كلام الله أزليا قديما قدم الله قدمت المعتزلة رأيا جريئا إعتبرت القرآن الموجود بين أيدينا أمرا محدثا أوجده الله بعد أن كان غير موجود وذلك في سعيهم إلى نفي الخلود عن أي شيء عدا الذات الإلاهية.

فالإعتزال كان له أثر كبير في نشأة النّقد الأدبي وتطوره فقد كان إحسان عباس محقا عندما قال " إنّ النّقد الأدبي ولد في حضن الإعتزال(الجاحظ، بشر بن المعتمر) والمتأثرين به، سواءا أكان ذلك التأثر موجبا

[1] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي(قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الكويت،حوليات كلية الآداب–الحولية العاشرة 1409هـ–1988م،الرسالة التاسعة والخمسون)، ص26.

أو سلبيا، وكان الإعتزال حينئذ يعني في أساسه الإحتكام إلى العقل، والعقل يهدئ من جموح العاطفة والعصبية، ولهذا قضى بأن الزمن لا يصلح بأن يكون حكما على الشّعر، مما أدى منذ البداية إلى أن يسلك النّقد طريقا وسطا لا تفضيل فيها لقديم على محدث أو العكس، وإنمّا هنالك كما يقول العقل الإعتزالي: محض الحسن والقبح، وذلك هو أساس النّقد الأدبي"[1].

ممّا ذكرناه سابقا أن المعتزلة كانت السبب الرئيسي في نشأة وتطور النّقد الأدبي وعليه فإنّ الجاحظ من أصحاب المعتزلة أي أنّه معتزلي المذهب والمنهج في تفكيره وتأليفه فقد وضع مبادئ الإعتزال الأساسية في كل آراءه ومواقفه وطروحاته النّقديّة، "ولا شك أن المنطلقات الأولى لأي موقف من مواقف الجاحظ النّقديّة أو غير النّقديّة، ترجع في أصلها إلى عقيدته الإعتزالية الثابتة، وإن بدت آراؤه متفرقة مشتة"[2] .

إنّ مبدأ حرية الإرادة والعقل كما قالت المعتزلة يعتبر من بين المبادئ الأساسية يشكل مدخلا لجميع القضايا التي تتعلق بالإنسان لدى الجاحظ ومن بين هذه القضايا يأتي على رأسها قضية البيان التي تعد من القضايا التي لها صلة شديدة بالأدب والنّقد ولقد شغلت هذه الجاحظ شغلا كبيرا جعله يكتب كتابا ضخما في البلاغة العربية، هو كتاب البيان والتبيين وجعل موضوع البيان من أوسع الموضوعات التي تناولها الجاحظ ليس في الكتاب فحسب بل في الكثير من الرسائل التي كتبها.

فكيف نظر الجاحظ إلى البيان من خلال تفكيره الإعتزالي؟

أهم آراء المعتزلة وأشهر إعتقاداتهم قولهم بحرية الفعل الإنساني، وأنّ الإنسان هو خالق افعاله وبالتالي لا يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل فقط وإنّما كذلك بميزة البيان فهو ليس وسيلة للفهم والإفهام فقط، وإنمّا له منزلة خاصة في حياة الإنسان تتعدى كونه وسيلة للتعبير عن الحاجات إلى أمور أكبر بواسطة عقله وحرية إرادته وهكذا يصبح البيان أكبر واجهة للوجود الإنساني[3]

---

[1] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار الثقافة، بيروت، لبنان،حقوق الطبع محفوظة، الطبعة الاولى)ص16.

[2] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي(قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الكويت،حوليات كلية الآداب-الحولبة العاشرة 1409هـ-1988م،الرسالة التاسعة والخمسون)ص29.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص31.

لقد إهتم الجاحظ إهتماما كبيرا بالبيان، ما جعله يخصص له كتابا خاصا هو «البيان والتبيين » وجعل البيان هو الموضوع الرئيسي الذي أقام الجاحظ عليه كتابه مبرزا أصالة العرب في هذا الموضوع و يعتبر البيان نعمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على العرب دون سواهم من الأمم.

يعرف الجاحظ البيان بقوله:"و البيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السّامع إلى حقيقة، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيّان، ومن أيّ جنس كان الدّليل."[1]

هذا هو البيان الذي قصده الجاحظ وعناه في كتابه وهو:

-القدرة على الإبانة و الوضوح.

-الكشف عمّا يدور في النفس.

-الإفصاح عمّا في الضمير عن طريق اللسان والألفاظ.

وفي هذا الحديث كذلك نجد التباسا بين البيان و الدلالة الذي يظل هنا أيضا قائما، ولعلّ ذلك راجع إلى اعتبارات تعليمية فالبيان حقيقة مجردة يصعب على الطلاب تصورها أمّا الدلالة حقيقة ملموسة يمكن مشاهدتها و سماعها أي أن هناك فرقا بين البيان و الدلالة وهذا ما يؤكده الجاحظ في الفصل الطويل الذي عقده بعد هذا التعريف لأصناف الدلالات وكذلك في الفصل المماثل في كتاب الحيوان الذي عنونه "وسائل البيان "[2].

كما يعرف الجاحظ البيان مرة أخرى فيقول :"والدّلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان، الذي سمعت الله -عز وجلّ- يمدحه ويدعو اليه و يحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت على أصناف العجم "[3].

---

[1] ابي عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ج01 ،ص76

[2] ينظر محمد الصغير بنّاني، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، (ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983)ص199

[3] المصدر السابق،ص75.

في هذا الحديث يستطرد الجاحظ ببيان أصناف الدلالات على المعنى و يؤكد ذلك في قوله :"و جميع الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد : أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثمّ العقدة، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة.والنّصبة هي الحال الدّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصّر عن تلك الدلالات. ولكلّ واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثمّ عن حقائقها التفسير ، وعن أجناسها و أقدارها ، وعن خاصّها وعامّها، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ، وعمّا يكون منها لغوا بهرجا، وساقطا مطرحا "[1].

ثم أعطى دلالة على أنّ البيان لا يكون إلا بطريق الألفاظ وهو البيان الذي تفاخرت به العرب

ويؤكد هذا المعنى في قوله هذا الوارد في الجزء الثالث من البيان و التبيين :"–أبقاك الله – الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين، وما شابه ذلك غرر الأحاديث، وما يشاكله من عيوب الخطب ،ومن الفقر المستحسنة، و النتف المتخرجة، والمقاطعات المتخيرة، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة و الجوابات المنتخبة."[2]

"ومعروف أن عزر الأحاديث و عيوب الخطب، و بعض ما يستحسن من الشّعر و الأجوبة التي لا تكون ولا تؤدى إلا باللسان و الألفاظ."[3]

ويؤكد هذا المعنى في قوله :" فعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين و أنور كان أنفع وأنجع."[4]

---

[1] ابي عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ج01 ، ص76.

[2] المصدر نفسه ،ج03،ص05.

[3] فوزي السيد عبد ربه عيد ،المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين (مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة أبناء وهبه حسان ،2005، القاهرة)ص123.

[4] ابي عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1،ص75.

ويؤكد الجاحظ رأيه في البيان وارتباطه بالألفاظ حين سأله جعفر بن يحي :ما لبيان؟ قال:" أن يكون الإسم يحيط بمعناك، ويحلى عن مغزاك، وتخرجه الشركة، ولا تستعيب عليه بالفكرة، والذي لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا عن الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنيا بالتأويل."[1]

كما نجد الجاحظ يعلق على بعض رأى البيان هو تلبيس الحق بالباطل، وتلبيس الباطل بالحق بقوله: "فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب، فأما نفس حسن البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه، ومن ذمّ البيان مدح العي، وكفى بهذا خيالا. "[2]

البيان يقوم على وضوح اللفظ والمنطق مع حسن عرضها لا يقتصر على لغة الكلام فقط وإنّما يتسع ليحيط بجميع وسائل التغيير الممكنة.

ذلك مجمل تعريف البيان عند الجاحظ والذي ربطه كما قلنا سابقا أولا بمستواه النظري بمواقفه العقدية، حيث تبيّن لنا من خلال قراءتنا أنّ معظم آراؤه وتصوراته، وحتى طريقته في التّحليل، مرتبطة أشد الإرتباط بأصول الإعتزال الخمسة وأنّ من جاء بعده من علماء الشّعر و النّقد فقد استفادوا من هذه الآراء في مناهجهم النقدية.

[1] ابي عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ،ج1،ص106.

[2] المصدر نفسه، ص 395.

المبحث الثاني: القضايا النّقديّة عند الجاحظ

قضية اللفظ والمعنى

قضية اللّفظ والمعنى من قضايا النّقديّة والفكرية الخلافية التي عرفها الدرس النّقدي القديم كانت ومازالت موضع اهتمام النقاد والمفكرين العرب قديما وحديثا، "فهي إحدى مشكلات النقد الكبرى وجانب مهمّ من نظريتهم في النّص الأدبي"[1].فدارت بينهم النقاشات المستفيضة عن المسألة بشأن النّص الشعري والنثري الجميل والبليغ وما سّر الجمال والإبداع فيه هل هو بفعل تناسق ألفاظه وجمالها أم نتيجة سمو معانيه واتساقها "لذلك لا يكاد يخلو مصنّف قديم من الحديث عن الزّوج لفظ/معنى، فلا غرابة أن تعتبر قضية اللّفظ والمعنى"[2] "من أكبر القضايا التي عرفها النّقد العربي."[3]

فلم تنل قضية من قضايا النقد العربي من إتمام وشدة جدل مثل قضية اللّفظ والمعنى حيث "هيمنت على تفكير اللغويين وشغلت الفقهاء و المتكلمين واستأثرت باهتمام البلاغيين"[4]. كما فرغ لها جهابذة النقد العربي"نقد الشعر ونقد النثر"[5] وأوسعوها تحليلا منذ الجاحظ حتى عبد القاهر الجرجاني، مرورا بابن قتيبة وابن طباطبه العلوي و قدامة بن جعفر وابن المعتز والآمدي والجرجاني، فعلى اختلاف آرائهم النقدية نجدهم يخوضون في هذه القضية التي يوازي تشكلها "تشكل أبرز المعارف والعلوم

---

[1] حمادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السّادس(منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسميّة للجمهورية التونسية،1981)ص433.

[2] توفيق الزيدي ، جدلية المصطلح والنظرية النّقدية ، ص11 نقلا عن أحمد الودرني، قضيّة اللّفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب ،ط1424،01هـ-2004م،دار الغرب الإسلامي، ص10.

[3] عبد المجيد جحقة، سطوة النهار وسحر الليل الفحولة وما يوازيها في التصور العربي(دار توبقال للنشر،1996، الدار البيضاء، المغرب)ص55.

[4] محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية تنظم المعرفة في الثقافة العربية (مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان)ص41.

[5] المرجع نفسه، ص41.

عند العرب بدءا بأول تجربة لهم في فهم القرآن أثناء التنزيل وبعده ووصولا إلى الميلادي المنهجي لعدّة علوم عربية أصيلة"[1].

إذن قضية اللّفظ والمعنى "قضية أدبية ما زالت مطروحة منذ وجد الأدب وستبقى كذلك ما دام الأدب موجودا، ولا شك أنّ هذا يرجع إلى إختلاف شخصيات الأدباء من جهة ونقاد أو جمهور المتأدبين من جهة أخرى"[2].فهي "ذات طابع إستقطابي يمحّضها بأن تكون من المسائل الرؤوس في التراث النّقدي على وجه التحديد، فلا غرابة أن يتفق معظم النقّاد العرب المعاصرين على أنّها مشكلة مشكلات"[3]. إذ نرى أنّ فريقا اتجه إلى الزخرفة والتزيين بفضل الزخرفة اللفظية ويقدم اللّفظ، ويدعو للعناية به بتنقيح العبارة، فالأدب صورة لأناقته الشخصية أو أناقة الكاتب، ولهذا السبب يؤكد على أهمية السبك الجيد والمبالغة في انتقاء الكلمات المناسبة للموضوع، والحرص على زخرفة البحث الادبي.

وفريقاً آخر اتّجه إلى الفكرة والمعنى، ولا يعلق أهمية كبرى على زخرفة اللّفظ، أو سلامة العبارة، أو جمال السبك، وتزيين الأسلوب، لأنّه يقرأ الأدب بعقله لا بعاطفته، فهو يجري وراء الفكرة و يعمل على استيعابها[4].

فهناك من النّقاد والبلاّغين بالغوا في إعلاء شأن اللّفظ وجعل المزيّة له وحده، كما اهتمّ البعض الآخر بالمعنى على حساب اللّفظ. ولعلّ الجاحظ الذي يعد من أبرز الكتاب العرب القدامى، ويعد علامة فارقة في الأدب العربي الذي ناقش قضايا الأدب منها قضية اللّفظ والمعنى في

---

[1] أحمد الودرني ، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب (ط 1424،01هـ-2004م دار الغرب الإسلامي)ص40.

[2] محمد عبد الغني المصري، نظرية أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبع الأولى 1407هـ-1987م)ص81

[3] المرجع السابق ص11

[4] ينظر محمد عبد الغني المصري، نظرية أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبع الأولى 1407هـ-1987م)ص81

النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، غير أنّ الناظر في كتابه القيّم "البيان والتبيين" يضع يده على نصوص اختلف النقاد في فهمها وتأويلها لأنّ "الجاحظ تناول القضية في أكثر من مناسبة، وقال فيها أكثر من قول ولعله كان أول من نسبه إلى أهمية المستويات اللفظية عند نقل الأحاديث مفصلا أو مختصرا. و لكن آراء أبي عثمان في هذا الصدد ربما كانت موضع تساؤل من قبل بعض الناقلين عنه أو الباحثين في أدبه. فقد انتزعت عبارات قالها الجاحظ تعليقا، من سياقها فظهرت مضطربة و غير واضحة. فكان أن نسبت إليه آراء في هذا المجال ،كان الجاحظ بريئا منها و يبقى أبي عثمان ،مع ذلك، مسؤولا عن هذا الاضطراب في فهم آرائه، ذلك أنه لايورد آراؤه في موضع واحد ،أو منهج متكامل ،بل كثيرا ما تبدو وكأنها ارتجلت في موضع لا تنتمي إليه"[1] ممّا أدى إلى بروز آراء متباينة حمّلت الجاحظ مسألة إعطاء أهمية و أفضلية اللّفظ على المعنى و هذا حينما قال في كتابه الحيوان "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي و البدوي والقروي و إنّما الشأن إقامة الوزن ، وتخيّر اللّفظ، وسهولة المخرج ،و كثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنّما الشّعر صناعة ، وضرب من النسيج ، و جنس من التصوير..."[2]

عندما نقف عند هذه العبارة نرى أنّ الجاحظ " يجعل الشأن كله للصياغة اللفظية وجودة السبك"[3]، وهو في كل ذلك يجعل القيمة الأدبية تقوم على جزالة اللّفظ و أناقته وجودته وجماله وحسن تركيبته كما انّ هذه العبارة "جعلت الكتاب ينظرون إلى الجاحظ هذه النظرة "[4]يقول عبد القاهر الجرجاني "وقد عددنا الجاحظ على رأس القائلين بقصر الحس على اللّفظ ، دون المعنى ،فهو يصرح بأنّ شأن الكلام شأن التصوير و الصياغة "[5]

---

[1] وديعة طه نجم ، الجاحظ و النقد الأدبي(قسم اللغة العربية و آدابها –جامعة الكويت ، حوليات كلية الآداب الحولية العاشرة – 1409هـ-1988م)ص57.

[2] أبي عثمان الجاحظ، الحيوان ج3،ص132،131.

[3] أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأذبي عند العرب (دار نهضة حصر للطباعة والنشر ،سبتمبر1996،القاهرة)ص357.

[4] فوزي السيد عبد ربه عيد ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين (مكتبة الأنجلو المصرية ،مطبعة أبناء وهبه حسان ،القاهرة ،2005)ص192 .

[5] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص176-177.

والواقع أنّ الأمر لم يكن كذلك " ولعلّ الذي جعله يصرح بهذا الكلام و جعل الكتاب ينظرون إليه على أنه من أنصار اللّفظ هوما رآه في عصره من العناية الزائدة والاهتمام بالكثير من المحسنات البديعية و الإكثار منها، وجرى الكثير من الشعراء و الكتاب ورائها ، تاركين العبارة الفخمة و اللّفظ المعبر، والأسلوب المطبوع الرصين ،و طغيان ذلك على الأدب، هذا من ناحية، و من ناحية أخرى ما رآه من الكثيرين من نقاد الأدب و المشتغلين به من اهتمامهم بالمعاني–على اطلاقها–و الاشادة بها دون النظر الى الألفاظ، واهمالهم لها اهمالا كليا، فاراد ان يبين انّ الالفاظ والصياغة لها شانها، ولا بد من مراعاتها والإهتمام بها، كما يهتم بجانب المعاني، و أن يكون هذا الاهتمام بحيث لا يطغى على الصياغة اللفظية التي يفسد طغيانها على اللّفظ والمعنى جميعا ويهوى بالأدب على الحضيض"[1].

فالجاحظ كان يريد من العبارة السابقة عدم المبالغة في الاهتمام والإشادة بالمعاني دون الألفاظ وإهمالها كليا" لأن المبالغة مفسده لكل شيء"[2]فهو بذلك لم يقصد اهمال المعنى والتأكيد على الالفاظ وإنما الاهتمام به ولكن أن يكون هذا الاهتمام لا يطغى على الصياغة اللفظية التي يفسد طغيانها اللفظ والمعنى .

إضافة إلى ذلك فان المقولة الشهيرة التي قالها الجاحظ بخصوص اللفظ والمعنى" حينما تنتزع من سياقها الذي جاءت فيه ، قد تبدو غريبة و يساء فهمها فقد جاء هذا القول في معرض التعليق على رأي أبي عمرو الشيباني– الراوية المعروف– الذي كان حكمه على الشّعر مقصورا على مقاصد محدودة وضيقة، عند استحسان الشّعر "[3]وعابه عند استجادته لبيتين وهما :

"لا تحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت، ولكن ذا أفضع من ذاك لذل السؤال.

---

[1] فوزي السيد عبد ربه عيد ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين (مكتبة الأنجلو المصرية ،مطبعة أبناء وهبه حسان ،القاهرة ،2005)ص192.

[2] علي محمد حسن العماري، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية(أميرة للطباعة، طبعة واحد، 1420هـ-1999م) ص157.

[3] وديعة طه نجم ، الجاحظ والنقد الادبي(قسم اللغة العربية وادابها ، جامعة الكويت ، حوليات كلية الأداب الحولية العاشرة 1409هـ-1988م)ص58

وكان إعجاب أبي عمرو بهذين البيتين لما اشتملا عليه من جليل المعنى دون النظر الى لفظهما"[1] خاصة عندما تعلق الأمر بالشّعر فللشّعر "نظرة خاصة لدى أبي عثمان و يراه من زاوية أخرى، فيرى أننا يجب أن نطالب الشاعر أن يضاعف الاهتمام بالصياغة وأن يجسد سبك العبارة الشعرية حتى تبدو أقرب إلى الطبع، وأن يكون الشّعر سهل المخرج غضّا طريا يدل على ذوق مرهف وحس لطيف، لأنّ الشّعر يتجه الى القلب والعاطفة وطريقتهما الزخرفة والزينة"[2] "إنمّا الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللّفظ، وسهوله المخرج، وكثرة الماء، و في صحة الطبع وجودة السبك، فإنّما الشعر صناعة ،وضرب من النسيج، وجنس من التصوير..."[3] وهذه العناية بالصياغة واختيار الكلمة الشّعرية المعبرة الجميلة والتأكيد على سلامة الصياغة ورقيّها أهم خصائص الشعر الغنائي، وقد كان أبي عثمان يضع القواعد النّقديّة للشّعر العربي الغنائي"[4].

هذا في ما يخص الشّعر في نظر الجاحظ أما فيما يخص الأدب عامة يقول الجاحظ: "... فإذا كان المعنى شريفا واللّفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا من الإستكراه، ومنزها عن الإخلال، مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة. ومتى فصلت الكلمة عن هذه الشريطة. ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه. عقول الجهلة..."[5].

---

[1] فوزي السيد عبد ربه عيد ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين (مكتبة الأنجلو المصرية ،مطبعة أبناء وهبه حسان ،القاهرة ،2005)ص58.

[2] محمد بن عبد الغني المصري، نظرية أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن، ط1،
1407-1996م)ص86.

[3] أبي عثمان الجاحظ ، الحيوان، ج3،ص131،132.

[4] المرجع السابق ،ص86.

[5] أبي عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1،ص83.

يعتبر الجاحظ أن اللّفظ للمعنى بدن، والمعنى للّفظ روح أي أنّ اللّفظ بدن والمعنى روح واللّفظ بلا معنى لغوا "وهذا الإنسجام التام بين الشكل والمحتوى قضية تكاد تكون مفروغا منها، في مباحث الجاحظ وتعليقاته."[1]

يقول الجاحظ" ولو أعطاه الأسماء بلا معان، لكان كمن وهب شيئا جامداً لا حركة له، وشيئا لا حسّ فيه، وشيء لا منفعة فيه..."[2].

كما أحالنا الجاحظ وهو يعالج قضيه اللّفظ والمعنى" إلى حقيقة هامة لها أثرها في البلاغة والنقد الأدبي، هذه الحقيقة هي أنّ لكل فن من القول ولكل أديب ناثرا أو شاعرا ألفاظه أو معجمه اللغوي الخاص"[3]. قال الجاحظ:" ولكلّ قوم ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كلّ بليغ في الأرض و صاحب كلام منثور، وكلّ شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون، فلابد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعينها، ليديرها في كلامه،و إن كان واسع العلم غزير المعاني،كثير اللّفظ..."[4]

وهذه الحقيقة أخذها من بشر بن المعتمر حيث رأى أن للمتكلمين ألفاظا خاصة تدور على ألسنتهم ولا يستعملونها في كلامهم للعامة.

قضية السرقات الأدبية:

تعد قضية السرقات الأدبية من القضايا النقدية الهامة التي شغلت النقد العربي منذ عهد مبكر لارتباطها بالأخلاق في فكرنا الإسلامي.

---

[1] وديعة طه نجم ، الجاحظ و النقد الأدبي(قسم اللغة العربية و آدابها –جامعة الكويت ، حوليات كلية الآداب الحولية العاشرة – 1409هـ-1988م)ص60.

[2] رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج01-ص262.

[3] محمد عبد الله محمد فضل الله ، القضايا النقدية بين الجاحظ وابن قتيبة من خلال كتابيهما البيان والتبيين والمعاني الكبيرة (رسالة الدكتوراه ،منشورة ،جامعة أم درمان الإسلامية ،مارس 2006م)ص22.

[4] أبي عثمان الجاحظ ، الحيوان ج3،ص366.

المؤلّف صاحب سلطة على النص في لحظة الإبداع من البنى المعرفية و الثقافية التي يكتسبها وما تخترعه ذاكرته من تجارب فنية وإجتماعية تسهم في خلق النص، وبهذا يكتسب النص وجوده المادي، ثم تنتقل السلطة الفعلية بعد الإنتاج إلى النص، وتسهم المادة الأولية المخزنة في ذاكرة المبدع في هيكلة النص شكلا ومضمونا، وتجعله في علاقة حتمية مع النصوص السابقة . وهذه العلاقة الحتمية أدت إلى تفشي ظاهرة السرقات في الأدب العربي نظرا للتشابه الشديد بين الشعراء في معانيهم وألفاظهم و إتكاء اللّاحق على السابق[1]. لهذا أخذ موضوع السرقات الأدبية حيزا كبيرا في جانب النقد العربي" لطول حياته وكثره أطواره وأدبائه وإتصاله بآداب عدة وعلوم وفلسفات، وشعوب وبيئات كثيرة"[2] وألفت فيها مصنفات كثيرة "فلا نكاد نجد كتابا في البلاغة أو في النقد الادبي خاليا من البحث في هذا الموضوع ومن الجدل الشديد في مسائله والعناية به كأنّه شيء غريب لم تعرفه الآداب اللغوية أو أمر منكر ليس من شرعة الحياة العقلية أن تسمح به، ولعله مع ذلك من لوازم الحياة وخطاها المطردة المتتابعة إلى غايتها المحتومة، لذلك كان من حق النّقد الأدبي الوقوف عند هذه المسألة إذا كانت من مقاييسه النقدية ومقدماته اللازمة للحكم والتقدير، وقد يكون في ناحيتها التاريخية أو خواصها الفنية ما يفيد في تاريخ الفنون الأدبية وعناصرها الحقيقية والخيالية والشعورية والأسلوبية"[3]. وكذلك "للوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة الى

[1] أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي ، دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام(مذكرة ماجستير، منشورة ، جامعة وهران،2014-2015)المقدمة بتصرف.

[2] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي(مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة1994م)،ص263.

[3] المرجع نفسه ص،260

أصحابها، ومقدار ما حوت من الجدّة والإبتكار، أو مبلغ ما يدين به أصحابها لسابقيهم من المبرزين من الأدباء من التقليد والاتباع"[1] والسرقة تكون في النثر أو الشّعر لكنها "وردت في الأدب العربي،غالبة على الشّعر وشاعر هذا العنوان «السرقات الشّعرية » وبقي مستقلا بين الكتب والعصور إلى الآن ذلك راجع إلى منزلة الشّعر **خاصة،** وكونه في البراعة والسيرورة والخلود وأن التجديد فيه أو المبالغة مباحة إلى مدى بعيد وأنّه أداة التقدم، والظفر بخطوة الملوك والعظماء"[2] إذ نجد أنّ أكثر الذين تعاملوا بالسرقات هم من فحول الشعراء وذلك لكسب الشهرة "وفي هذا الموضوع نال من قدامى الباحثين من الجد والعناية ما لم ينل بعضهم عناية المعاصرين"[3] لأنّ هذه المسألة وجدت منذ أن كان النقد ذوقيا "وهي مسألة طبيعية قديمة في تاريخ الادب العربي وفي الشّعر منه بوجه خاص، وجدت بين شعراء الجاهلية وفطن إليها النقاد والشعراء جميعا لما لحظوا مظاهرها بين امرئ القيس وطرفة بن العبد وبين الأحشى و النابغة الذبياني وبين أوس بن حجر وزهير بن ابي سلمى وكان حسان بن ثابت يعتّز بكلامه وينفي عن معانيه السرقة فيقول:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري"[4]

"وذكر الرواة أن بيت امرئ القيس

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلك اسّى وتجمّل

---

[1] بدوي طبانة، السرقات الأدبية دراسة في إبتكارالأعمال الأدبية وتقليدها(نهضة مصر القاهرة)ص03.

[2] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي(مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة1994م)ص،263.

[3] المرجع السابق صفحة 10.

[4] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي(مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة1994م)ص264.

قد اخذه طرفه فقال"[1]

" وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلك أسّى وتجلد"[2]

ففكرة السرقات كانت مع الشعر العربي القديم في العصر الجاهلي ومع ظهور الاسلام "أصبحت السرقات أكثر شيوعا مما كانت في العصر الجاهلي وأصبح أمرها يكاد لا يكون خافيا على أحد الشعراء والرواة"[3].

"يذكر القاضي الجرجاني أن الخطيئة أخذ بيته الذي يقول فيه:

وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى إلا ليال قلائل

من قول النابغة الذبياني"[4]

"وما كان دون الخير لو جاء سالما أبو حجر إلا ليال قلائل"[5]

أما في العصر الاموي نجد أنّ السرقات إتسعت وكان حافلا بأنواعها بعد أن اتسع مجال الشّعر نتيجة تلاحي الشعراء للعصبيات القبلية والانقسامات السياسية في ذلك العصر ازدادت فكرة السرقات وضوحا في أذهان النقاد والشّعراء[6]

[1] محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي(مكتبة الأنجلو المصرية،1958)ص06.

[2] الشعر والشعراء، صفحة 53 نقلا عن محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص06

[3] المرجع السابق صفحة 12

[4] محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي(مكتبة الأنجلو المصرية،1958)ص، 13

[5] الوساطة، صفحة 196 نقلا عن محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي،ص13

[6] ينظر محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي (مكتبة الانجلو المصرية 1958)ص15

"ويذكر الرواة أن بيت العباس بن عبد المطلب:

وما النّاس بالنّاس الذين عهدتهم ولا الدّار بالدّار التّي كنت تعلم

قد نقله الفرزدق فقال:"[1]

"وما النّاس بالنّاس الذين عهدتهم ولا الدّار بالدّار التّي كنت تعرف"[2]

وفي العصر العباسي ذلك العصر الذي يمتاز على عصور الأدب جميعا بتنوع ثقافته وتوسع حضارته، أنّ السرقات اعتقد اتسعت دائرتها كثيرا، لم تكن في العصور السابقة لأنّ السرقات ترتبط بالأدب فكل ما توسع الأدب توسعت السرقات واتخذت أنواع عديدة، وفي هذا العصر ومن بين النّقاد نجد الجاحظ" وإن كان أمر هذه السرقات قد عنى به بعض أعلام البلاغة كالآمدي في الموازنة، وابي هلال العسكري في الصناعتين، والقاضي الجرجاني في الوساطة، فإنّ الجاحظ قد سبق هؤلاء جميعا الى الإشارة إلى الأخذ والسرقة"[3] من خلال حديثه عن قضيه اللّفظ والمعنى التي قادته الى الحديث عن مشكلة السرقات يقول جابر عصفور:" قضية السرقة قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بقضية اللّفظ والمعنى"[4] وانطلاقا من مقولته الشهيرة عن المعاني "المعاني مطروحة في الطريق"[5]. فكيف درس الجاحظ موضوع السرقات الأدبية؟

---

[1] محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي (مكتبة الانجلو المصرية 1958)،ص 19

[2] إيضاح الإيضاح، صفحة 32نقلا عن محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي ، ص19

[3] فوزي السيد عبد ربه عيد، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين(مكتبة الأنجلو المصرية،2005، القاهرة)ص257

[4] ينظر محمد جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي(الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1992)ص313-316

[5] ابي عثمان الجاحظ، الحيوان ج3، ص131

يقول عمرو بن بحر الجاحظ في ذلك "ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلّا وكلّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه او يدعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم، وأعاريض أشعارهم ولا يكون أحد منهم احقّ بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعلّه أن يجحد انّه سمع بذلك في المعنى قطّ، وقال إنّه خطر على بال من غير سماع كما خطر على بال الأوّل، هذا اذا قرّعوه به.."[1]

يميز الجاحظ في هذا النص بين حالتين هما:

1) **حالة الأولى**: حالة السرقة للألفاظ والمعنى معا مع السرقة جزئية أو كلية بحيث يكون الثاني مقصرا عن المبدع الأول في التعبير عن المعنى الشريف أو العجيب، أو لا يستطيع التعبير عن تشبيه جيد، أو يتأخر عن المبدع الاول في رسم الصورة البديعية، مثل هذا الشاعر يعتبره الجاحظ سارقا[2] نجد ذلك في قوله:

" قال يزيد بن مفزع

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

وقال اخذه من الفلتان الفهمي: حيث قال:

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة

[1] ا ابي عثمان الجاحظ، الحيوان ج3،ص، 311، 312

[2] ينظر عبد الغني المصري ، نظرية أبو عثمان عمروا بن بحر الحاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1407،1هـ-1987م)ص200

وقال مالك بن الريب:

العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الوعيد

وقال بشار بن برد:

الحر يلحى والعصى للعبد وليس للمحلف مثل الرّد"[1]

"يحدثنا الرّواة انّ بشار حين كتب بيته:

من راقب النّاس لم يظفر بحاجته وفاز بالطّيبات الفاتك اللّهج

أخذه تلميذه سلم الخاسر فقال"[2]

من راقب النّاس مات غمّا وفاز باللّذّة الجسور"[3]

يعتبر هذا النوع من السرقة مذموما مردودا لدى الجاحظ لأنّه تمّ أخذ المعنى مع اللفظ كله دون تغيير في النّظم. أثارت السرقات حركه نقدية ضخمة، توفر عليها النقاد بالدرس والبحث، وألفت فيها الكتب الكثيرة، ويتراشق الشعراء بتهمتها فيجمعون حولهم المؤيدين والمعارضين، وكل هذه الحركات النقدية النشطة

[1] فوزي السيد عبد ربه عيد، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، ص258

[2] محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي(مكتبة الأنجلو المصرية،1958)ص30

[3] ابن الاثير، المثل السائر، ص323 نقلا عن محمد مصطفى هدارة، مشكلة السّرقات في النقد العربي، ص30

بين الشعراء في ذلك العصر موضوعها هو السرقات[1] "وصارت لها مراتب ومنازل ومصطلحات متعددة[2] وأصبح "الشّعراء يجهرون بما أخذوا لأنهم يؤمنون بأن ما فعلوا ليس الا طريقة من الطرق السليمة"[3]

حجتهم في ذلك أن المعاني إستنفذها الشعراء الأقدمون، وان الشاعر المحدث قد وقع في ازمة تحد من قدرته على الابتكار ولهذا يتفاوت المحدثون في قدرتهم من هذه الناحية، فمنهم من يقصر عن المعنى السابق ومنهم من يحتذيه ومنهم من يزيد عليه ومنهم من يولد معنى لم يخطر للأول وبذلك حل التوحيد محل الإبتكار وبسبب هذا التفاوت المصطلحي المتصل بالمعاني[4] "وبهذا أصبحت السرقة للشاعر المحدث امرا لا مفر منه"[5].

مما ذكرنا سابقا انّ السرقات الأدبية بوجه عام والسرقات الشّعرية بوجه خاص نالت اهتمام الكثير من الشعراء الذين تعاملوا كثيرا وهذا كما قلنا لكسب الشهرة والتقرب من ملوك والأمراء "كما أفرد لها علماء النقد حيزا مقدرا للبحث في جوانبها المختلفة المتباينة، ولم يتهاونوا، ولم يستكينوا في ذلك بل كان همهم أن يتعرّفوا على المزيد من أنواع السرقات، وعن الشعراء الذين تعاملوا بالسرقات"[6].

---

[1] ينظر محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي(مكتبة الأنجلو المصرية،1958)ص29-30

[2] أبرادشة صارة ، تنقل المعنى في النقد العربي القديم من خلال نقد السرقات في المثل السائرلإبن الأثير (مذكرة الماستر ، منشورة ، جامعة آكلي محند اولحاج ، البويرة، 2015-2016)ص23

[3] المرجع السابق صفحة 70

[4] ينظر إحسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب (دار الثقافة، لبنان، الطبعة الأولى)ص39

[5] ابن طباطبة العلوي ، عيار الشعر ، ص08

[6] شايب فرح فنجول عبيد ، القاضي الجرجاني ناقدا من خلال كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه(شهادة الماجستير ، منشورة ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان،1427هـ-2006م)ص73

2) **الحالة الثانية:** عندما يستعين الشاعر بمعنى سبقه ويشاركه فيه، وعادة تكون هذه المعاني مشتركة بين العقلاء، وهكذا يكون المعنى واحدا لديهم لكنهم اختلفوا في أدائه، وهكذا يصبح المعنى مشاعا للجميع ليس لأحد الحق ان يدّعيه لنفسه[1]

"وقد عرض لهذا النوع فيما ذكره من قول أحد الشعراء يهجو بعض الخطباء.

يمان ولا يمون وكان شيخا شديد اللقم هلقما خطيبا

فهذا الشاعر ذهب إلى قول الأحوص:

ذهب الذين احبهم فرطا وبقيت كالمقمور في خلف

من كل مطوى على حنق متضجع يكفى ولا يكفى

وقال حسن ابن هانئ:

إذا نابه أمر فأما كفيته واما عليه بالكفى تشير

وقال اخر:

ذريني فلا اعيا بما حل ساحتي أسود فأكفى أو أطيع المسودا"[2]

[1] ينظر عبد الغني المصري ، نظرية أبو عثمان عمروا بن بحر الحاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1407،1هـ-1987م)ص202

[2] فوزي السيد عبد ربه عيد، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين(مكتبة الأنجلو المصرية،2005، القاهرة)ص259

هذه الابيات تدور حول معنى واحد مع الإختلاف في الفاظه "فالجاحظ يرصد ظاهرة أخذ المعنى مشيرا الى ذيوعها وانتشارها في الشعر قديمه وحديثه، وهذا الأخذ لا ضير فيه في نظر الجاحظ"[1]. فلا مجال للسرقة في المعاني المشتركة العامة التي تخطر ببال الناس جميعا وانّما تكون في المعنى الغريب أو المعنى الشريف او في المعنى المخترع الذي يحسن التعبير عنه صياغة وأسلوبا .

وفي الأخير يمكننا القول أن أبي عثمان الجاحظ كان متساهلا في قضية السرقات.

قضية القدم والحداثة

تضاف قضية القدم والحداثة إلى سلسلة القضايا النّقديّة التي شغلت الحّيز الواسع من إهتمام النقاد والباحثين، فتناولوها في كتبهم المختلفة، أصبحت مصدرا للصراع والخصومة بين التيارات الأدبية، فمنهم من كان يهتم بالقديم فقط دون الإهتمام بالحديث، ومنهم من رفض القديم واهتم بالحديث فقط .

مسألة القدم والحداثة مسألة أزلية تعود جذورها "إلى القرن الأول والثاني الهجريين"[2] عند اللّغويين والرواة" علماء الطبقة الأولى، بحكم تعلقهم بمفهوم المحافظة على اللغة وأصولها من عوامل التعبير والتطور، حيث كل تغيير يطرأ على اللغة، عاملا من عوامل فسادها، وظلت مناقشاتهم وأحكامهم تدور في دائرة السلامة اللغوية التي لم يقبلوا بديلا عنها مقياسا في الحكم"[3] .حيث جعلوا المثل الأعلى للغة هو القرآن

[1] أبرادشة صارة ، تنقل المعنى في النقد العربي القديم من خلال نقد السرقات في المثل السائر لإبن الأثير (مذكرة الماستر ، منشورة ، جامعة آكلي محند اولحاج ، البويرة، 2015-2016)ص18

[2] محمد الشريدة، قضايا النقد الادبي في القرن الثالث هجري(دار الينابيع للنشر2004،عمان،الطبعة الأولى 2005)ص77.

[3] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي (قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة الكويت)ص44-45.

الكريم والشّعر الجاهلي بوصفه ديوان العرب وسجلهم ، فالشّعر المثالي الكامل عند العرب هو الشّعر القديم الجاهلي ، حتما بالتأكيد بالسياق الزمني، و أنّ كل إبتعاد عن هذا الشّعر المثالي يعدّ سقوطا و إبتعادا عن الكمال[1] فكان موقفهم " موفق المدافع عن الثقافة العربية و الأصول الاولى متمثلة في اللغة العربية أولا و آخرا إلتزاما بهذه الاصول اما المشككين الناقدين ، فقادهم موقفهم شيئا فشيئا إلى نوع من العصبية كذلك "[2] رافضين التجديد جملة و تفصيلا فهم " يشعرون بإحساس غريزي يكمن في أنّ متابعة تطور و مواكبة التجديد في البلاغة و الشّعر يقود حتما إلى الخراب "[3] وهذا لأنّهم "جميعهم ينهلون من ينبوع واحد ، و يصدرون عن ذهنية واحدة و يتقاربون تقاربا ملحا في التفكير "[4].

فهذه القضية كما قلنا تعود إلى امد بعيد ولكن لم تكن تعتمد على ألية نقدية و إنّما على ألية نحوية و لغوية .

وما إن بزغ فجر القرن الثالث بمجيئ العصر العباسي حتى طفق نقاء العصر العباسي أدباءهم يسايرون الطفرة النوعية التي طرأت على الشّعر في العصر العباسي[5] و إنحراف مسار اللغة و الشّعر العربي خاصة نتيجة لتلك التطورات الإجتماعية و السياسية و الثقافية التي شهدها المجتمع العباسي" ومدى تأثر بعوامل

[1] ينظر أدونيس، الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع ج1(دار الساقي، بيروت،لينان،1994)ص39

[2] المرجع السابق، صفحة45

[3] محمد الكتاني ، الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث،ج1(دار الثقافة ، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 1402هـ-1982م)ص997.

[4] محمد حسين الأعرجي ، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي(سلسلة عصمى الثقافية للنضر والتوزيع، القاهرة)ص20.

[5] ينظر شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الضعر العربي(دار المعارف،كورنيش النيل، القاهرة، الطبعة الحادية عشر)ص91

الحضرات التي انفتح عليها هذا المجتمع"[1] فالعصر العباسي "شهد إمتزاجا إجتماعيا بين العرب والعناصر الأعجمية"[2] "فتمت عملية المزج بالمجاورة، والمصاهرة ، والتعري، والعتق، والولاء. وغير ذلك "[3] ترتب عنه بروز ذوق جديد يتوافق مع الحياة الجديدة جديدة بعيدا عن حياة البداوة وخشونة الأعراب[4] "فكان من الطبيعي أن تحدث المقابلة بين القديم والحديث فالقديم يتمثل في الموروث العربي عادات وتقاليد ومآثر أدبية وفكرية في شتى مناحيها وصورها، فإنّ المحدث لم يكن يصدر عن أصل واحد واضح المعالم. فقد كانت المقابلة بين القديم والحداثة في العصر العباسي صراعات تضرب بجذورها في اصول قومية ومذهبية، وعقيدية أو سياسية وهذا أمر مألوف في أي مجتمع سريع القبيلة والتغيير كالمجتمع العباسي .

وبما انّ النشاط الأدبي في كل أمة ، وكل مجتمع جزء مهم من النشاط الإنساني العام، ومظهر من مظاهر تغيير المجتمع عن نفسه، فقد كان من الطبيعي أن يستتبع ذلك أنّ أي شكل من أشكال الصراع بين القدم والحداثة سيكون الأدب أو نقده تعبيرا طبيعيا عنه"[5]. وأول أشكال الصراع و الخصومة في العصر العباسي حدثت بين انصار أبو تمام والبحتري ، فهناك طائفة من الشعراء استجابت لمظاهر الحياة الجديدة في العصر العباسي وأعطت الاهتمام و العناية للصنعة اللّفظية والمحسنات البديعية وطائفة أخرى

[1] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي (قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة الكوبت)ص44.

[2] محمد حسين الأعرجي ، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي(سلسلة عصمى الثقافية للنضر والتوزيع، القاهرة)ص22.

[3] بنية حجاب، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي،ص255نقلا عن محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي،ص22.

[4] ينظر محمد حسين الأعرجي ، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي(دار المعارف ، القاهرة، الطبعة الحادية عشر)ص23

[5] وديعة طه نجم، الجاحظ والنقد الأدبي (قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة الكوبت)ص44

حذت حذو الأوائل واهتمت بعذوبة العبارة وجزالة اللّفظ ، فكان أبو تمام من أهل الصنعة والبحتري من أهل الطبع.

ولعل الجاحظ رصد ما كان يجري في زمانه من صراع حول القدم والحداثة "فتمثلته كتب الجاحظ وعلى رأسها البيان والتبيين وكتاب الحيوان و ما حويا من نظرات متناثرة عميقة شكلت في معظم الأحيان محور القضية النّقديّة، وذلك لما تميّزت به من شمولية وسمت أسلوب الجاحظ وفكره الإعتزالي، فكان إخباريا ومتذوقا في آن واحد"[1]. فكيف كان موقف أبي عثمان من قضية القدم والحداثة؟

"يسوق عمو بن بحر بيتا للبيد وهو من أوائل الشعراء الذين وقفوا عند هذه المسالة بقوله:

قال لبيد"[2] :

"والشاعرون الناطقون اراءهم سلكو طريق مرقش ومهلل"[3]

ثم قال الجاحظ:

"والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها، أنّ عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب ، أشعر عامة شعراء الأمصار والقرى ، من المولدة الناتية، وليس ذلك بواجب له في كل

[1] محمد الشريدة، قضايا النقد الادبي في القرن الثالث هجري(دار الينابيع للنشر2004،عمان،الطبعة الأولى 2005)ص77

[2] محمد عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمروا بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنضر والتوزيع، عمان، الأردن الطبعة الأولى 1407هـ-1987م)ص52-53

[3] أبي عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ج2،ص208

ما قالوه وقد رأيت ناسا منهم يبهرجون أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها . ولم ير قطّ ذلك إلا في رواية للشّعر غير بصير بجوهر ما يروي ولوكان له بصر لعرف موضع الجيّد ممّن كان ، وفي أيّ زمان كان"[1].

فالجاحظ وقف عند هذه القضية فكان موقفه توفيقيا " فهو يدعو للإنصاف والنظر للشّعر الجيّد ، بغض النظر عن صاحبه ، ودون محاسبته على العصر الذي عاش فيه ، حتى يبعد عوامل الحسد والغيرة التي تنشأ بين المتعاصرين في كل زمان ومكان"[2] .فهو لا يفضل قديم على محدث ولا محدث على قديم والنظر إلى جودة النص الأدبيّ من شعر أو نثر لا الزمن الذي وجد فيه .أما رأيه في المتعصبين للقديم فينطوي على هجوم منعوت بقصر النظر أو ضيق الأفق من رواة البغداديين، فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر النسيب وأنشده[3] "وفي بعض أشعار أبي نواس كان يقول"[4] "وإن تأملت شعره فضّلته إلّا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أنّ أهل البدو أبدا اشعر ، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن إعترض هذا الباب عليك ، فإنّك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا"[5].

[1] أبي عثمان الجاحظ ، الحيوان، ج3،ص130-131.

[2] محمد عبد الغني المصري،نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الادبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن ، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م)ص52-53.

[3] ينظر أبي عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ج4،ص23-24

[4] محمد الشريدة ، قضايا النفد الأدبي في القرن الثالث الهجري (دار الينابيع 2004، عمان ، الطبعة الأولى 2005)ص89

[5] أبي عثمان الجاحظ ، الحيوان ج3،ص27

"فأبو نواس على انّه مولد شاطر ، أشعر من شعر مهلهل في إطراق النّاس في مجلس كليب في أبياته التّي يهجو بها اسماعيل نيبخيت ومنها :

على خبز اسماعيل واقية البخل وقد حلّ في دار الأمان من الأكل

وإستحسن بعد ذلك طرديات أبي نواس وأثبتها في كتاب الحيوان"[1].

يرى الجاحظ أن شعر بعض الشعراء المولدين مثل أبي نواس بشعر جميل فهو بذلك لايعني أنّه يرفض الأدب القديم ولكن كان موقفه توفيقيا "وهذه الدعوة المخلصة للإنصاف ومحاربة الهوى تشكل قاعدة سليمة يقف عليها الجاحظ في معالجته لقضية أزلية في النّقد الأدبي، ومازالت مستمرة حتى اليوم وستبقى كذلك مادام هناك بشر ينقسمون حسب أهوائهم أو شخصياتهم ."[2]

[1] محمد الشريدة ، قضايا النفد الأدبي في القرن الثالث الهجري (دار الينابيع 2004، عمان ، الطبعة الأولى 2005)،ص89

[2] محمد عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الادبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن ، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م) ص51.

الفصل الثاني:

الجاحظ و المؤثرات

الأجنبية

معرفة الجاحظ بعلوم الأوائل:

"لقد كان الجاحظ على اطلاع واسع بما لدى الأعاجم من علوم وكان كثير القراءة والتأليف حتى أنه كان يقرأ كل ما يقع في يديه حقيرا كان أم عظيما وكان يهتم بأمر الكتاب إهتماما شديدا وكان له وراق خاص يكتب له ويكتب عنه. و الجاحظ أحيانا لا يريد أن يعترف صراحة بالمصادر الأجنبية أو المترجمة التي أخذ عنها معلوماته وربما كانت هذه عادة الكثير من المصنفين في ذلك العصر ومع ذلك وردت إشارات تدل على أنه كان على اطلاع وعلم بالمؤلفات والمصنفات التي ترجمت عن اللغات الأعجمية لا سيما كتب المنطق والفلسفة اليونانية"[1] ومن تلك الإشارات ما جاء في كتاب الحيوان قوله :"و لولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ،وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا و فتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا إلى قبيلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سبيلنا الى المعرفة"[2] "و أورد الجاحظ بما لدى الأعاجم من بلاغه قال : قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

و قيل لليوناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي ما البلاغة؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. و قيل للهندي ما البلاغة؟ قال وضوح الدلالة

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية، ص71

[2] الجاحظ، الحيوان، طبعة عبد السلام هارون، ج1، ص85.

وانتهار الفرصة وحسن الإشارة وقال بعض اهل الهند : جماع البلاغة، البصر بالحجة والمعرفة بمواضيع الفرصة"[1].

وعلى هذا فان من المناسب ان نستعرض حركة الترجمة في العصر العباسي والتي ظهرت ونشطت كنتيجة طبيعية لاتساع وتنوع مجالات ومتطلبات الحياة وإحساس المسلمين بأنهم بحاجة ماسة إلى التزود من معطيات الحضارات والثقافات الاخرى من اجل بناء وتشييد حضارتهم الجديدة وخصوصا بعد اتساع حركه الفتح وانضواء مناطق و أقطار شاسعة تحت لواء الخلافة. وهكذا شهد العصر العباسي نشاطا واسعا ومنظما في مجال الترجمة من خلال إقبال العلماء وطلاب العلم عن قراءة ودراسة المترجمات وتشجيع الخلفاء العباسيين ودعمهم لحركة الترجمة. "و قد قامت هذه الحركة على نقل ثلاث ثقافات رئيسية إلى الفكر الاسلامي والعربي وهي: الفارسية والهندية واليونانية"[2].

الثقافة الفارسية :

"لعب الفرس دورا مزدوجا في التأثير على الثقافة الإسلامية، فقد قاموا من جهة بنقل الثقافة الفارسية الأصيلة الى الحضارة الإسلامية، ومن جهة أخرى أسهموا في نقل الفكر اليوناني إلى الفكر الاسلامي والعربي عبر نقل ما زخرت به ثقافتهم من تأثيرات يونانية **ويعتبر** ابن المقفع كواحد من الذين ساهموا في نقل ثقافة الفارسية الى العربية، فقد ترجم في مجال التاريخ كتاب(الأدب الصغير)و (اليتيمة في

[1] الجاحظ ،البيان و التبيين ، طبعة عبد السلام هارون ،ج1،ص88.

[2] فالح الربيعي تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم، ص 33.

الرسائل) و(كليلة ودمنة) الذي هو في الاصل كتاب هندي نقل الى الفارسية، وفي مجال الأدب ترجم (عهد أردشير) وكتاب (أرض أردشير في التدبير) وكتاب (ادب وتوقعات كسرى) وكتابه (هزار إفسانة)الذي يعتبر الأساس الذي قام عليه كتاب(ألف ليلة وليلة) وقد نسج على منوال هذه الكتب الكثير من الأدباء والعلماء المسلمين كابن الهبارية الذي ألّف كتاب (الصالح

والباغم)و عبد الله بن أبي القاسم القرشي الذي ألف كتاب (سلوان المطاع في عدوان الطباع)"[1].

ولا يفوتنا أن نشير هنا الى المؤلفات الفرس بالعربية والتي يمكن اعتبارها من جملة مظاهر تأثيرهم في الحضارة الإسلامية من حيث إنهم ألفوها متأثرين بثقافتهم الأصيلة ونذكر هنا على سبيل المثال : سهل بن هارون الذي ألف بوحي من تأثره بثقافته الفارسية العديد من الكتب ، منها (ديوان الرسائل)و (ثعلة وعفرة)و(تدبير الملك والسياسة) .

و بالإضافة الى ذلك فقد كانت الثقافة الفارسية مدخلا واسعا دخلت عبره المؤثرات الثقافية الأجنبية الأخرى الى الثقافة العربية وفي مقدمتها المؤثرات اليونانية والهندية ، ويرى أوليري في كتابه (مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب) أن المادة العلمية للرياضة و الفلك من المحتمل أن تكون قد انتقلت إلى الحضارة الإسلامية من اليونان والهند عبر إيران.

[1] فالح الربيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم، ص33.

ويشير في هذا المجال إلى كتاب(السند والهند) الهندي الأصلي ويحتمل أن تكون ترجمته إلى العربية قد تمت بمساعدة نسخة فارسية[1].

"ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المجال مدرسة جند يشابور التي تعتبر معهدا علميا للدراسات الفلسفية والطبية أسسه كسرى آنوشروان (531- 576 م) وما لعبته من دور رئيسي في نقل التراث اليوناني الى العربي ، وفي مقدمة كتاب (منطق ارسطو) الذي يعتبر من جملة الكتب التي مارست أكبر التأثير في تشكيل العقلية الإسلامي و الذي تأثر به المعتزلة الى حد كبير في نزعتهم الكلامية ومناظراتهم "[2].

ويلوح لنا في هذا المجال الجاحظ كواحد من ابرز الذين أسهموا بنصيب وافر في نقل ثقافة الفارسية الى العربية.

" أشار الجاحظ في البيان والتبيين إلى كتاب من كتب الفرس البيانية مما يدل على اطلاعه فذكر على لسان من سماهم بالشعوبيين ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب (كاروند) و كاروند مكون من كلمتين فارسيتين (كارو) ومعناها الصناعة و لاتزال هذه الكلمة مستعملة إلى وقتنا هذا في العامية العراقية و المصرية و(وند) بمعنى المديح والثناء فعلى هذا يكون اسم الكتاب الذي اشار اليه الجاحظ بالعربية هو صناعة المديح .

[1] ينظر فالح الربيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم، ص34.
[2] المرجع نفسه ، ص34.

وذكر على لسانهم أيضا ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والصبر والمثلثات والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فلينظر في سير الملوك. فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها وهذه كتبها في المنطق التي جعلتها الحكماء بما تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب "[1].

ويبدو أن الجاحظ كان يعرف اللغة الفارسية أو كان ملما بها " يدل على ذلك نصوص جاءت في البيان والتبيين والحيوان وقد ترجمها الى اللغة العربية منها قوله وهو يتحدث عن الزرافة "زعموا أن الزرافة خلق مركبها من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذيخ وهو ذكر الضباع وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها بالفارسية(إشترى) و(بلنك) وتأويل (أشتر) بصير ، وتأويل (كاو) بقوة ، وتأويل (بلنك) الضبع "[2].

"وقولهم للزرافة (إشترى وبلنك) اسم فارسي والفرس تسمي الاشياء بالاشتقاقات كما تقول للنعامة(أشتر مرغ) وكأنهم في التقدير قالوا هو طائر و جمل وهم يسمون الشيء المر الحلو (ترش شيرين) وهو في التفسير حلو حامض وهذا الكلام يدل على معرفة الجاحظ باللغة الفارسية انها لغة الكلام و تخاطب فحسب وإلا فكيف عرف ان الفرس تسمي الاشياء بالاشتقاقات"[3].

"و مما يدل على معرفته باللغة الفارسية ما ورد في البخلاء وهو يتحدث عن صديقه البغدادي الذي تنكر له حتى قال له:(لو خرجت من جلدك لم اعرفك)، يعلق الجاحظ على هذه العبارة بقوله ترجمة هذا

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية، من الجاحظ إلى ابن المعتز، ص72

[2] المرجع نفسه، ص 74.

[3] المرجع نفسه، ص74.

الكلام بالفارسية :(أكازبرست بارون بيائي نشنا ستم) ومنها التعليق الذي أورده الجاحظ في المحاسن و الأضداد على توقيع عبد الله بن طاهر (من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام) حيث قال و هذا المعنى سرقة من توقيعات كسرى:(هرك روذ جرد هوك خسبد حواب بيدر)"[1]. كما وردت نصوص أخرى في كل من البيان والتبيين والحيوان تدل على معرفه الجاحظ باللغة الفارسية.

ولهذا يمكن القول بأن الدور الذي لعبه الفرس في التأثير على الفكر العربي كان يمكن في نقل التراث الهندي واليوناني إلى الفكر الاسلامي ، مما سهل الاطلاع على ما زخرت به تلك الثقافات من أفكار وعلوم ومعتقدات ، كانت سبب في رواج علم الكلام واتساع سوق الجدل والاعتماد على العقل في اثبات الحجة والبرهان.

الثقافة الهندية :

"مارست الثقافة الهندية تأثيرها على الحضارة الإسلامية في مختلف فروعها ففي مجال الادب نقلت الكثير من القصص الهندية الى العربية ونحن نجد هذه القصص مبثوثة في المصادر التاريخية والأدبية العربية ،فكثيرا ما تصادفنا في هذه المصادر عبارات مثل (ومما نقل عن الهند) او(مما جاء في كتب الهند) .

وقد سبقت الإشارة الى كتاب(كليلة ودمنة) الذي يغلب الظن أنه كتب بالهندية في الأصل ثم نقل الى الفارسية ومنها الى العربية ولا ريب في أن هذا الكتاب ترك أعظم الأثر على الأدب العربي ونسج على

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز ، ص74-75.

منواله الكثير من الأدباء العرب ، وإذا ما راجعنا الفهرست لابن النديم لوجدنا أسماء الكثير من الكتب الهندية التي نظمت الكثير من القصص ، والخرافات ومنها كتاب السندباد الكبير، والسندباد الصغير، وكتاب(ديك الهند) وكتاب (ملك الهند) ومن المرجح أن تكون هذه الكتب قد تركت أثرها على كتّاب القرن الرابع وما بعده وخصوصا كتاب القصص والأخبار والأساطير والمقامات مثل أبي حيان التوحيدي وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم، وفي هذا المجال يذهب (أحمد أمين) إلى أن الكثير من قصص ألف ليلة وليلة يرجع إلى أصول هندية .

ومن بين المجالات الاخرى التي تركت فيها الثقافة الهندية اثرها على الحضارة الإسلامية مجال الحكمة نظرا إلى غنى الحضارة الهندية بهذا الفرع من المعرفة. حيث عرف الهنود بصياغتهم لخبراتهم وتجاربهم و تأملاتهم في الحياة في عبارات وجمل قصيرة جاءت على شكل حكم وأمثال، كما نلاحظ ذلك في كتاب كليلة ودمنة مثلا وقد تمت ترجمة الكثير من تلك الأمثال والحكم في عهد المنصور والرشيد . وذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار مجموعة كبيرة من الأمثال والحكم الهندية"[1].

وكلما تأثرت الثقافة الإسلامية بالثقافة الهندية في مجال الحكمة فقد تلقت التأثير منها ايضا في مجال البلاغة، ذلك لان الهنود عرفوا بامتلاكهم لآرائهم ووجهات نظرا بلاغية يعتد بها لاهتمامهم بالكلام والفنون القول والمنطق السليم . " ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المجال ما نقله الجاحظ في البيان والتبيين من

[1] فالح الربيعي تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم، ص35.

ترجمة للصحيفة الهندية في البلاغة ، والتي جاء في مقدمتها "[1] "(أول البلاغة اجتماع الة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ،ساكن الجوارح ، قليل الحظ ، متميز اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة و يكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة و لا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما او فيلسوفا عظيما)"[2].

"ونقل الجاحظ لمقاطع من هذه الصحيفة وهو علم من أعلام المعتزلة ليدل على تاثر المعتزلة وخصوصا الأدباء والكتب منهم بالثقافة الهندية بالإضافة إلى الثقافات الاخرى"[3].

ومما يدل على معرفة الجاحظ بما لدى الاعاجم من معرفة **لا سيما** في حقل البلاغة قوله في موضع آخر:" (فأما الهند فإنما لهم معاني مدونة وكتب مخلدة لا تضاف الى رجل معروف ، ولا إلى عالم موصوف ؛وإنما هي كتب متوارثة وآداب على وجهه الدهر سائرة مذكورة ، ولليونان فلسفة وصناعة منطق)"[4]؛ واشار أيضا إلى الكتب الهندية فقال : " (وقد نقلت كتب الهند ، وترجمت حكم اليونانية وحولت آداب الفرس في بعضها ازداد حسنا وبعضها ما انتقص شيئا)" [5].

---

[1] فالح الربيعي تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم، ، ص35.

[2] لجاحظ، البيان و التبيين : طبعة عبد السلام هارون ،ج01، ص88.

[3] المرجع السابق، ص35.

الجاحظ، البيان و التبيين : طبعة عبد السلام هارون ، ج03، ص14.

[5] الجاحظ، الحيوان، طبعة عبد السلام هارون،ج01،ص75.

وفي مضمار الفلسفة كان للثقافة الهندية تأثير عميق على الحضارة الإسلامية وخصوصا بين اوساط المتكلمين،ومن بين العقائد التي عرفت بها الفلسفة الهندية وانتقلت إلى بعض المذاهب الإسلامية القول يتناسخ الأرواح.

"والذي يهمنا من ذلك أن البعض من المتكلمين ومن بينهم متكلمو المعتزلة خضعوا لتأثير هذه العقيدة مثل(أحمد بن حابط) الذي ننسب إليه فرقه الحابطية من المعتزلة.

ويشير صاحب الأغاني إلى أن البعض من المتكلمين ومنهم (جرير بن حازم الاسدي)اعتنقوا مذهب السمنية الذي يعتبر احد المذاهب الهندية.

وفي مجال التصوف يمكن القول ان التصوف الاسلامي لم يسلم من تأثيرات المذاهب الفلسفية الهندية في مجال التصوف والرياضيات الروحية التي عرفت بها الثقافة الهندية"[1].

كل هذه الفلسفة الدينية والتعاليم الرياضية والقصص والحكم الأدبية والشعائر والتقاليد الاجتماعية ذابت في المملكة الإسلامية ، وكانت عنصر هاما من عناصر الآداب العربية "[2].

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تاثر العرب وخصوصا الادباء والكتاب منهم بالثقافة الهندية بالإضافة الى الثقافات الأخرى.

[1] فالح الربيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم، ص36.

[2] أحمد أمين ،ضحى الإسلام ، ،ص233.

الثقافة اليونانية:

"إذا نحن وصلنا إلى اليونان، فقد وضعنا أيدينا على كنز لا يفنى وثروة لا تقدر وغنى عظيم في كل ما ينتجه العقل والعاطفة والذوق في الفلسفة والرياضيات والفلك في علوم الطبيعة والحياة والطب و في الأدب، في التاريخ، في السياسة، في الفنون الجميلة. لقد نفخوا في كل ذلك من روحهم، وغذوا العقول بآرائهم وأمدوا العالم بأفكارهم وآدابهم وعلمهم وأساطيرهم وربوا الذوق بفنهم ونحتهم وتصويرهم"[1].

"ومما يدل على معرفة الجاحظ بكتب الأعاجم لا سيما اليونان منهم تصريحه بالنقل عن ابقراط رأيه في تأليف كتب العلم وقوله: (إنّ أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب وهو كتابه الذي يسمى (انوريسمو) تفسير كتاب (الفضول)) وقوله (و ها هنا كتب هي بيننا وبينكم، مثل كتاب إقليدس، ومثل كتاب جالينوس ومثل المجسطي مما تولاه الدّجاج ، وكتب كثيرة لا تحصى فيها بلاغ للناس و إن كانت مختلفة و منقوصة، مظلومة مفسرة فالباقي كاف شاف والغائب منها كان تكميلا لتسلط الطبائع الكاملة) فهو إذن يعرف هذه الكتب التي ذكرها ويعرف غيرها مما لا يحصى، ليس معرفة عابرة بأسمائها أو بوجود أمثالها. وإنما معرفة العالم البصير القارئ لما فيها والعارف بأنها منقوصة مظلومة، ولكن ما بقي منها كاف شاف، و انما غاب منها وضاع ما هوإلا تكميل لها. وقد كان الجاحظ مطلعا على ما ترجم إلى العربية من كتب اطلاع الناقد البصير، وذلك لأن لأنه انتقد كثيرا من المترجمين وذكر معايبهم وأغلاطهم وسوء ترجماتهم . كما وضع شرائط للترجمان فقد كان يرى أن المترجمين لم يستطيعوا

[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام، ص235.

نقل آراء وأفكار المؤلفين الأجانب بدقة وذلك ناشئ طبقا عن قصورهم في إدراك المعاني الغامضة التي ذهب إليهم أولئك المؤلفون"[1]. ومما جاء بهذا الصدد قوله: " فمتى كان- رحمه الله -تعالى ابن البطريق، وابن ناعمة، وابو قرة، وابن فهر، وابن وهيلي، وابن المقفع، مثل أرسطو طاليس؟ ومتى كان خالدا مثل أفلاطون؟ "[2].

"وربما كان الجاحظ على معرفة تامة بأرسطو ويكتب أرسطو في المنطق و الفلسفة . وذلك لأننا في حديثنا عن الترجمة ذكرنا أن العرب اهتموا بترجمة كتب أرسطو إلى العربية اهتماما شديدا" وأن كتبه في المنطق ولا سيما الأربعة الأوائل منها كانت من أوائل ما ترجم العرب .

ومن البعيد بعدما عرفناه من اطلاع الجاحظ الواسع على كل ما ألف في عصره، أنه لم يكن قد اطلع على ما كتب أرسطو نفسه ، وما ترجمه العرب من كتبه ،" في حين أن العلماء العرب في ذلك العصر قد اهتموا بأرسطو اهتماما بالغا"[3]؛ قال : " الجاحظ في معرض حديثه عن ذم الكلام المتكلف (ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار و بلغاء ما فهموه أكثره ، وفي كتاب اقليدس كلام يدور، وهو عربي وقد صفي ، ولو سمعه بعض الخطباء ما فهمه، ولا يمكن أن

[1] مجيد عبد الحميد ناجي ، الأثر الإغريقي البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز ،ص75،76.
[2] الجاحظ الحيوان ،طه عبد السلام ،ج01،ص90.
[3] المرجع السابق،ص76.

يفهمه من يريد تعليمه لأنه يحتاج الى أن يكون قد عرف بهذا الأمر ، وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام)"[1].

" وهذا النص يدل على أن الجاحظ قد اطلع على منطق أرسطو وما كتبه إقليدس ،و عرف الأسلوب الغامض الملتوي الذي اتسم به كل منهما والا فكيف يمكنه ان يصدر مثل هذه الاحكام .و قد أشار الجاحظ الى أرسطو في مواضع متفرقة من كتبه ،و صرح بالأخذ عنه في البعض الاخر . وكان يسميه (بصاحب المنطق) و نقل عنه في حديثه عن البيان.كما أنه كان يصفه بأنه (بكي اللسان غير موصوف بالبيان) على أنه يعود فيقول عنه بانه كان عالما يتميز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه، وهذا يعني انه قد قرأ بإمعان وتفهم ما كتبه ارسطو في هذا الشأن .

ولو رجعنا إلى المواضع التي يحدث فيها أرسطو تمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه لرأينا مكانها كتب المنطق لأرسطو ولا سيما كتب العبارة والمقولات والبرهان والخطابة والشّعر"[2].

وأغلب كتب المنطق الأرسطية قد ترجمت الى اللغة العربية أو لخصت وشرحت قبل الجاحظ أو في حياته.

[1] الجاحظ ،الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون ،ج1،ص90.

[2] ينظر إلى كتاب الأثر الإغريقي البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، مجيد عبد الحميد ناجي،ص77.

وأكد "بصوره خاصة كتابي (الخطابة) و(الشعر) لأرسطو هما الكتابان الثامن والتاسع من مجموعة الكتب المنطقية الأرسطية حسب الترتيب الذي رتبها العرب وذلك لما لهذين الكتابين من تأثير كبير في المباحث البلاغية التي أشار إليها الجاحظ ، وعند مقارنة ما كتبه الجاحظ بما جاء في كتابي الخطابة والشعر وغيرهما من الكتب المنطقية والفلسفية اليونانية. نستطيع أن نحكم بمدى اثر هذه الكتب في الجاحظ ومقدار ما اخذه منها، وقد اشار الدكتور طه حسين الى تأثير الجاحظ بأرسطو فيما كتبه بالبلاغة العربية"[1].

هل فهم الجاحظ نظرية أرسطو الفنية؟

ملامح النظرية الأرسطية في الفنية والأدبية:

يرى بتشر: "انه من العسير ان ننسب الى أرسطو فلسفة فنية كاملة دون أن نضيف إلى أفكاره زيادات من عندنا تخرجها عن حقيقتها..."و يعتبر ليون هارد سينجل أول من حاول في العصر الحديث تقديم بناء متكامل لنظرية أرسطو في الفنية الأدبية في رسالة جامعية قدمها إلى **جامعة** باريس عام1882 لقب عن دراسته بكثير من النصوص الخاصة بنظريه ارسطو في الفنية وننقلها عن كتاب للدكتور ابراهيم سلامة على النحو التالي يقدم ليون هارد سينجل ثلاثة تعاريف للفنية كما يراها أرسطو:

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز ،ص78.

الفنية الأدبية: استعداد عقلي واضافة عن الاشياء الطبيعية تؤدي الى الابتكار، وبهذا تكون الفنية هي القدرة على الخلق والابتكار، ولهذا الفنية تفيد دراسة المبادئ التي تقود مواهبنا حسب المنهاج الخاص نحو الخلق و الابتكار.

وبناء على ما تقدم فالفنية استعداد موجود في نفس مبتكرها لا في طبيعة الاشياء المتحدث عنها"[1].

كيف فهم الجاحظ نظرية أرسطو في الفنية وكيف طبقها بدوره عن الشعر العربي؟

"نبادر القول أن الجاحظ كان مطلعا على دقائق حياة أرسطو و يستغل هذه المعرفة في دفاعه عن التيار العربي الإسلامي أمام تيار المترجمين الذين كانوا يروجون للأدب اليوناني و غيره من آداب الأمم السابقة :"كان الجاحظ يتلقف الفكرة في أي أفق ظهرت فيه ، وكان يعرف المترجمين و يهزأ بهم ..."[2].

ونبدأ بمقارنة الشعر عند اليونانيين و الجاحظ :

"لقد نادى أرسطو بنظرية المحاكاة القائلة بان الشعر ضرب من ضروب المحاكاة، محاكاة وتصوير ما في الطبيعة، ما هو كائن منها أو ما سيكون. وعنده أن كل فن من الفنون ما هو الا محاكاة ، وما تختلف الفنون عن بعضها إلا باختلاف وسيلة المحاكاة . وقد سبق أرسطو في المناداة بهذه النظري كل من سقراط و أفلاطون.

[1] محمد عبد الغني المصري ، أثر الفكر اليوناني على الناقدين الجاحظ وقدامة ابن جعفر ،ص12.

[2] المرجع نفسه،ص14-15.

فسقراط يقول:(إن جميع الشعراء من هوميروس و صاعدا مقلدون نسخوا صورا خيالية في كل ما نظموا ، ومن جملة ذلك نظمهم في الفضيلة فلم يلمسوا الحقيقة وكما قلنا الساعة لا يرسم الرسام وهو لا يعرف شيئا عن السكافة ، رسما يحمل الجهلاء امثاله على الظن انه اسكاف، لانهم يحصرون نظرهم في الاشكال والالوان ... فعلى الطريقة نفسها ارى ان الشاعر كالرسام ، يضع طائفة من الألوان في افعال واسماء لتمثل حرفا لا يعرف منها الا ما يمكنه من تقليدها)"[1].

أما افلاطون فإنه يرى أن " الشاعر التراجيدي محاك وهو كغيره من المقلدين يبتعد ثلاث مرات على الملك ومثال الحقيقة " وقد بنى أفلاطون نظريته في المحاكاة على رأيه في المثل، إذ عنده أن" المثال هو الشيء بالذات ، و الجسم شبح للمثال، والمثال نموذج الجسم او مثله الأعلى متحققة فيه كمالات النوع إلى أقصى حد ، بينما هي لا تتحقق في الأجسام إلا متفاوتة" والشعر عنده كالتصوير؛ "... وحظ الشعراء كحظ المصورين ، فالمصور ينقش الاشياء والشاعر يصور أعمال الناس من رجال ونساء .كلاهما يقلد ظواهر الأمور، وعملهما هذا بعيد عن الحقيقة بمرتين " .

ويرى أرسطو ان ماهية الفن في ذاته هي أنه يحاكي ، ويعرف المحاكاة بأنها (إيجاد ما لم تستطيع الطبيعة إيجاده على النحو الذي يمكن ان توجده الطبيعة عليه لو أنها انتجته) أي أن الفن في نظره محاكاة لأفعال الطبيعة وليس إعطاء صورة مكررة لما أنتجه. ويرى أن الشعر التراجيدي(شعر المأساة)هو كالرسم

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، ص95.

والنحت يصور فيه حادث مثير للحزن والاشفاق ، فهو تقليد لعواطف وتصوير لإحساسات وعرض لأنواع الشعور التي يعانيها الانسان"[1].

" فكما أن الرسم والتصوير محاكاة لما في الطبيعة وسيلته الألوان والموسيقى محاكاة لما في الطبيعة وتصوير لما في النفس ووسيلتها التعبيرية الصوت و اللحن .فكذلك الشعر محاكاة وسيلته القول و الوزن. فشعر الملاحم وشعر التراجيدية. وكذلك الكوميدا والشعر الدرثومي وأكثر ما يكون من الصفر في الناي واللعب بالقيثار. كل تلك انواع من المحاكاة ويفترق بعضها عن بعض على ثلاثة أنحاء . أما باختلاف ما يحاكي او باختلاف طريقة المحاكاة. فكما أن من الناس من أنهم ليحاكون الأشياء و يمثلوها بحسب ما لهم من الصناعة او العادة بألوان وأشكال. ومنهم من يفعل ذلك بواسطة الصوت. فكذلك الأمر في الفنون التي ذكرناها ، تحدث المحاكاة بالوزن والقول والإيقاع إما بواحد منها عن الانفراد او بها مجتمعة"[2] .

و وصل أرسطو في مناداته بنظرية المحاكاة درجة رأى فيها أن الإنسان بطبعه يجد لذة في المحاكاة.

" وينبه أرسطو إلى قضيه هامة في تعريف الشعر وهي عن النظم الذي يعني بالحقائق العلمية، لا يدخل ضمن تعريف الشعر إن كان منظوما وزن شعري معين مثل ألفية ابن مالك وغيرها من المنظومات في شتى فروع المعرفة"[3].

أما الجاحظ فإنه عندما تكلم على الشعر عرفه بأنه"(ضرب من الناس من النسيج و جنس من التصوير)"[4] "ويرى أن الصورة الشعرية في المحاكاة الطبيعية لا يتم خلقها إلا في إقامة الوزن، وتخير الألفاظ، و سهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك "[5].

---

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز،ص96.

[2] المرجع نفسه،ص97.

[3] محمد عبد الغني المصري ، أثر الفكر اليوناني على الناقدين الجاحظ وقدامة ابن جعفر ،ص15.

[4] الجاحظ الحيوان ،طه عبد السلام ،ج03،ص131.

[5] المصدر نفسه ،ص131.

"فإن كل من أرسطو والجاحظ قد نظر إلى الشعر من زاوية غير الزاوية التي نظر منها الآخر، فأرسطو نظر إلى فنون الشعر وأغراضه غرضا غرضا ، وقال أن لكل غرض من أغراضه لذة خاصة به عن اللذة التي يمنحها الغرض الآخر منه ؛ و لا ننتظر منه أن يمنحنا لذة أخرى أما الجاحظ فإنه نظر الى الشعر ككل وقال أن المنفعة التي يمنحها الشعر كصناعة ، بالمقارنة إلى باقي الصناعات الأخرى هي منفعة ضيقه مقصورة عن أهله ممن يتعاطاه أو يتذوقه" [1].

المصطلحات البلاغية عند الجاحظ وأرسطو :

وتتمثل في مسائل علم المعاني والبيان وعلم البديع.

1-مسائل علم المعاني

الإيجاز والإطناب والمساواة في الشعر:

أ- الإيجاز: "جاء في لسان العرب :وجز الكلام وجازة ووجزا و أوجز: قل في بلاغة ، وأوجزه : اختصره.

قال ابن سيدة :بين **الإيجاز** والإختصار فرق منطقي ليس هذا موضعه "[2].

"وجاء **الإيجاز لغة**:التقصير يقال أوجزت الكلام أي قصرته، يستعمل لازما **ومتعديا**"[3].

"واصطلاحا: هو أداء المقصود **بأقل** من عبارة المتعارف "[4].

" ويحدد الجاحظ مفهوم **الإيجاز بأنه** : الجمع للمعاني الكثيرة **بالألفاظ القليلة** "[5]

---

[1] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز،ص100.

[2] ابن منظور لسان العرب مادة وجز.مجلد 5ص428.

[3] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ص211.

[4] المرجع نفسه، ص211.

[5] الجاحظ ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مج3 ص86.

"ثم يتوسع في مفهومه فيصبح الإيجاز عنده أداء حاجة المعنى سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة وقد يطول الكلام في رأيه ويعد إيجازا لأنه وقف عند منتهى البغية ولم يجاوز مقدار الحاجة "[1]

"وإذا تتبعنا الإيجاز عند البلاغيين بعد الجاحظ وجدنا مفهومه لم يحرف، فهو جمع المعاني الكثيرة بأقل الألفاظ مع الإبانة والإيضاح وهو ضربان: إيجاز قصر وإيجاز حذف"[2].

ب- الإطناب: "في أصل الوضع اللغوي : هي الطوال من حبال الأخبية، واحدها طنب ، واستعيرت للكلام الطويل .قال ابن منظور: الإطناب هو البلاغة في المنطق والوصف ، مدحا كان أم ذمّا . وأطنب في الكلام : بالغ فيه. وهو عكس الإيجاز "[3].

ومن جميل تعاريف البلاغة:" (البلاغة هي الإيجاز في غير عجز ، والاطناب من غير خطل) "[4].

والإطالة و الإطناب مترادفان ومقابلان للإيجاز عند الجاحظ فهما عنده كلما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية .

"فرق الجاحظ بين الإطالة والاطناب فقال: وقد بقيت أبواب توجب الإطالة و تحوج إلى الإطناب"[5].

"فالايجاز والإطناب من الموارد التي فيها أثرا يونانيا فقد تحدث عنهما أرسطو في كتابه(الخطابة) فقال وهو يتكلم عن وسائل الإطناب:(ومن ذلك ان يستعمل الكلمة مكان الإسم فلا يقول : الدائرة ولكن السطح متساوي من تلقاء الوسط . وأما الايجاز فضد ذلك أعني أن يضع الإسم يدل الكلمة وكذلك إن كان الشيء قبيحا او غير جميل فإن كان قبيحا في الصفة فينبغي أن يستعمل الاسم فإن كان قبيح الاسم ان يذكر الصفة فيوضح عن الشيء بالتغيير، على أن ينتكب الكلام الفيوئطي في تلك الموضوعات. و

---

[1] الجاحظ ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مج: 6، ص7،9.

[2] المصدر نفسه مج:3، ص39.

[3] ابن منظور ،لسان العرب، مادة طنب.مج1 ص561-562.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون، مج1ص97.

[5] الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون ، ج6 ص7.

وسيلة أخرى هي الإكثار من إستعمال الجمع مكان المفرد كما هو صنيع الفيوئطيين.)"[1]، "ثم يتحدث بعد ذلك عن الايجاز فيشير إليه بقوله:(فإن تعمد الإيجاز قيل ضد ذلك)"[2] "وجاء أيضا:(وأعلم أن الكلام ربما نفع ايجازه حيث يراد الإفهام الوحي، ويوثق بتعقب الإقناع اياه لمعرفه حال السامع أو حال الاداء، فيجب أن ترد الحدود والرسوم هناك إلى الألفاظ المفردة. وربما نفعت بسطة للأسهاب به حين يراد توكيد الاقناع والتهويل. فيجب أن تبدل الألفاظ المفردة بالأقاويل)"[3]

فأرسطو إذن قد عرف الإطناب وفسره بأنه وضع الكلمة —ويريد بها الجملة– موضع الاسم، وأبان أن الايجاز عكسه، أي وضع الاسم موضع الجملة. واشترط في الإطناب ان يكون مفيدا وإلا انقلب الى حشو يزيد من تعقيد الكلام، وكذا الايجاز يشترط فيه عدم الإخلال بالمعنى. على أن يراعي في جميع هذا تجنب الأسلوب الشعري في الخطابة"[4].

ج – المساواة: لغة: "ساوى الشيء بالشيء إذا عادله"[5] فالمساواة هي المعادلة. "و عند أهل المعاني هي: واسطة بين الإيجاز والإطناب"[6] وقد تعددت تعريفات المساواة لدى العديد من البلاغيين منها:

"(المساواة كون اللفظ بقدر المعنى المراد أي مثله ،المساواة تأدية أصل المعنى بلفظ مساوي له لفائدة ، ويقول أحدهم: هي المذهب الوسط، الذي يلجأ إليه البليغ للتعبير عن خواطره وأفكاره، وهذا المذهب الوسط بين الإيجاز والإطناب . أيضا :المساواة هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، وهي نوعان :

[1] أرسطو، الخطابة ، الترجمة العربية القديمة، ط عبد الرحمان بدوي، ص200،201.

[2] المصدر نفسه ص201.

[3] ينظر مجيد عبد الحميد ناجي ، الاثر الإغريقي في البلاغة العربية ص119 .

[4] المرجع نفسه

[5] لسان العرب ابن منظور مادة مجلد 14 ص410.

[6] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ،ص227.

مساواة مع الاختصار: أي ألفاظ قليلة الأحرف كثيره المعاني، ومساواة بدون إختصار وتسمى متعارف الأوساط وهي: تأديه المقصود من غير طلب للاختصار)"[1]

لم يذكر الجاحظ لفظة المساواة عند معالجته الايجاز والإطناب في البيان ولكنه تطرق الى مفهوم جوهرها واسماه: إصابة المقدار ودعا الى الاعتدال"[2]

قال الجاحظ: "وأن قيمة كل امرئ ما يحسن"[3] وقال :" أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه او يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله"[4] فتلك مساواة، في الجوهر، في الذهن والتفكير.

"نلاحظ أن الجاحظ لم يستعمل لفظة المساواة ولكنه استعمل لفظة الموازنة والقدر، وإصابة المعنى أو إصابة المقدار، فالجاحظ لم يغفل معنى المساواة، بل اشار إليه أو لمح من باب التوازن العقلي، فقد أبرز المعنى ولم يسمّ المصطلح في البيان والتبيين"[5].

[1] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ،ص227-228.

[2] المرجع نفسه ص 228.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، ج1 ص83.

[4] المصدر نفسه ص 228.

[5] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ص228.

2) مسائل علم البيان

أ – المجاز: لغة: "الموضع ،جزت الطريق، وجاز الموضع جوزا ومجازا أي سار فيه وسلكه"[1]، ويقول أحد البلاغيين: "(أن المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق استعمالا في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من ارادة معناها في ذلك النوع)"[2]

وقد قسم علماء البلاغة المجاز الى قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي.

"المجاز العقلي: يكون بإسناد الفعل او ما في معناه الى غير ما هو له. الا يكون إلا في التركيب. المجاز اللغوي: يكون في نقل الالفاظ من حقائقها اللغوية الى معان أخرى بينهما صلة ومناسبة. وهذا المجاز يكون في المفرد ،كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له، وهو نوعان : إستعارة ومجاز مرسل."[3]

"والواقع ان العرب قد عرفت المجاز بالقول واستعملته منذ القدم فقد وردت كثير من المجازات في أشعار الجاهليين منها قول: إمرئ القيس في **معلقته** واصفا الليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازا وناء بكلكل

ومعلوم أن الليل ليس له صلب ولا إعجاز ولا كلكل، إذ ليس بجسم وإنما قال ذلك على سبيل المجاز."[4]

والجاحظ من أوائل العلماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع بالبحث والشاهد، لأن اللغة العربية هي لغة المجاز والايجاز، ولكنه لم يدرجه او يفصله تحت عنوان كعادته في نهج (البيان والتبيين).

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة وجز، م ج5 ص326.

[2] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ، ص243.

[3] المرجع نفسه ص 243.

[4] ينظر مجيد عبد الحميد ناجي، كتاب الأثر الإغريقي في البلاغة العربية، ص127.

"(فالمجاز عند الجاحظ هو: استعمال اللفظ في غير حقيقته توسعا من اهل اللغة)"[1].

" ومن بعض شواهده الضمنية في (البيان) على المجاز المرسل والتي لم يدرجها تحت عنوان، قول الشاعر:

أهلك طسما، وقبل طسم أهلك عاد وذا جدون

أراد الشاعر ب(طسم) جميع افراد قومه ولم يرد شخصا بحد ذاته، وكذلك الامر بعاد، أراد جميع افراد قوم عاد، وجمع (ذا جدون) التي مفردها (ذاجدن) ليدل و يؤكد على مقصده"[2]

"لقد ذكر أرسطو المجاز وعرفه، ولكنه لم يميز تمييزا واضحا بين المجاز والاستعارة، بل اعتبر الجميع من ضروب التغيير والانتقال، وهذه بعض النصوص ليتضح رأي أرسطو في المجاز، فقال وهو يتحدث ويتحدث عن جمال الاسلوب (....فاذا أردت أن تقبح الحقيرات وذلك على نحو ما أنا قائل: فالمتضادات في ذلك الجنس بعينه ان يقال للذي يطلب له يتضرع وللذي يضرع: يطلب، فكلتاهما مسألة وأيهما قيل فقد يمكن ان يكون من هذا النوع... وبالجملة، فيمكن أن نستخرج من الألغاز المتقنة مجازات موافقة لأن المجازات إن هي ألغاز مقنعة وبهذا التعرف مقدار نجاح نقل المعنى... حتى يقول فقد ينبغي أن يكون المجاز منتزعا من الأمور الجميلة)".[3]

" فأرسطو إذن قد عرف المجاز هنا ومثل له: بأنك تستطيع أن تقول للذي يطلب أن يتفرع وللذي يتضرع أنه يطلب على سبيل المجاز وذلك لأن كلا من الطلب والتضرع سؤال. إلا أنه أشار في موضوع آخر إلى وجوب عدم الإغراق في إستعمال المجازات لكي لا ينقلب الكلام لغزا مبهما".[4]

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون،ج1 ص190.

[2] محمد علي زكي صباغ ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ص244.

[3] أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ط عبد الرحمان بدوي، ص188-190.

[4] ينظر مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية ، ص129.124.

ب – الاستعارة: لغة :"من قولهم: استعار المال، طلبه عارية، فقد كانت العرب تستعمل الفعل استعار بمعنى (واستعار الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه)"[1]

إصطلاحا: "هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المتشابهة."[2]، "وقد وقعت الاستعارة في كلام العرب لا سيما في شعرهم منذ العصر الجاهلي من ذلك قول امرئ القيس في معلقته:

وبيضة خدر لا يرام خبائها تمتعت من لهو بها غير معجل

فقد استعار إمرؤ القيس في هذا البيت لفظة (البيضة)وأطلقها على حبيبته المخدرة، وذلك لعلاقة التشابه بينهما في بياض كل منهما"[3]

"والاستعارة عند الجاحظ هي: تسميته الشيء بإسم غيره، إذا قام مقامه."[4]

"فمن شواهده الإستعارية من غير أن يسميها :قول الشاعر:

يا دار قد غيرها بلاها كأنما بقلم محاها

أخربها عمران من بناها وكرّ ممساها على مغناها

وطفقت سحابة تفشاها تبكي على كرامها عيناها

قوله: أخربها عمران من بناها، يقول: عمرها بالخراب واصل العمران مأخوذ من العمر، وهو البقاء ، فإذا بقي الرجل في داره فقد عمرها وقوله ممساها، يعني مساءها. ومغناها: موضعها

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة عر، ج3، ط.دار صادر للطباعة والنشر 28.

[2] محمد زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ، ص246.

[3] مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية ، ص135.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مج1، ص153.

الذي أقيم فيه. والمغاني: منازل التي كان بها أهلها، وطفقت، يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها، وعيناها هنا للسحاب. فجعل المطر بكاء من السحاب عن طريق الاستعارة."[1]

فالاستعارة نجد جذورها عند ارسطو في عدة مواضع من كتابيه الخطابة والشعر.

"فقد قسم أرسطو الإسم الى أصيل او لغة أو استعارة أو زينة أو موضوع أو ممدود أو مقصور أو مغير. ثم بدأ يتحدث عن كل نوع من أنواع الأسماء التي ذكرها حتى أتى إلى الإستعارة فقال والاستعارة هي نقل إسم شيء إلى شيء اخر، وجاءت في ترجمة نتى بن يونس بلفظ (تأدية) ثم لم يكتف أرسطو بتعريف الإستعارة بانها نقل اسم شيء إلى شيء آخر بل بل بين وجوه هذا النقل فقال فأما أن ينقل من جنس إلى نوع أو من النوع إلى الجنس او من نوع إلى نوع أو ينتقل بطريق المناسبة."[2]

"ثم يتكلم بعد ذلك عن وجود مناسبة بين الإسم المستعار منه والمستعار له. ويعتبر هذه المناسبة شرط أساسيا لصحة الإستعارة"[3]

وإذا رجعنا الى الجاحظ فأننا نجده قد ذكر الإستعارة في كتابه البيان والتبيين ولكنه لم يفصل القول فيها كما فصل أرسطو ولم يقسمها كما فعل بلاغيون بعده. ولم يميز بين أنواعها أو يبين ما الجميل منها وما غير الجميل وما يصلح منها للنقد وما لا يصلح.

[1] محمد زكي علي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص247.
[2] مجيد عبد الرحمان ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة الأدبية ، ص 129.
[3] المرجع نفسه ص130.

ج – **الكناية**:لغة:" أن تتكلم بشيء وتريد غيره"[1]

تقول العرب:"كنى به عن كذا يكنى و يكنو كناية: تكلم بما يستدل به عليه، أو أن تتكلم بشيء وانت تريد غيره أو يلفظ بجاذبه"[2] إصطلاحا :" لفظ اريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى لعدم وجود قرينة ما خصه من إرادته"[3] "وقد وردت الكناية عرضا"[4] بمعنى المعنى العام عند الجاحظ "وهو التعبير عن المعنى تلميحا لا تصريحا كلما إقتضى الحال"[5]، " ومن مقومات الكناية: الوحي والاشارة، فقال الجاحظ :فذكر المبسوط في موضعه والمحذوف في موضعه والموجز، والكناية و الوحي باللحظ، ودلالة الاشارة"[6]

فمدح الإطالة في موضعها، والحذف في موضعه ،والكلام الذي هو كالوحي والإشارة . وقال في باب تعريف البلاغة في كتاب البيان والتبيين، قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجّة والمعرفة بمواضع الفرصة"[7] "فالكناية عند الجاحظ تقابل الافصاح والتصريح إذا اقتضى الحال"[8].

فالجاحظ مثل الكناية في مواضع متعددة من كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان) ومنها قوله: "قال شريح الحدة كناية عن الجهل، وقال ابو عبيدة العارضة كناية عن البذاء قال: وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور"[9]

---

[1] ابن مظور، لسان العرب، مادة كنى ج15 ص233.

[2] مجيد عبد الحميد ناجيا، الاثر الإغريقي في البلاغة العربية، ص146.

[3] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ، ص251.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ج1 ص44.

[5] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين ص251.

[6] المرجع نفسه ،ص252.

[7] الجاحظ، البيان والتبيين ،تحقيق عبد السلام هارون ج1 ص88.

[8] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص253.

[9] الجاحظ،، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون ، ج1ص263.

"لقد تحدث أرسطو في مواضع من كتابه (الخطابة) عما دعاه البلاغيون العرب بالكناية"[1] ، فقد قال:"وتورية تؤدي إلى الاثر نفسه ، أعني إلى إثارة الدهشة. وهذه الحيلة نجدها في الشعر حينما لا يجيء حسبما يتوقعه السامع وما له: سار و الأقدام تكسوها الشقوق فإن السامع كان يتوقع من الشاعر أن يقول (الحذاء): لكن لا بد ان يتضح المعنى لدى سماع الجملة. أما التورية فقيمتها ناشئة من كونها تدل لا على ما يبدو في الظاهر منها، بل على معنى الكلمة في صورتها المغيرة".[2]، " ومعلوم أن الذي يريده البلاغيون من الكناية لا يعدو معنى الإشارة والتعريض والتورية."[3]

[1] الاثر الإغريقي في البلاغة العربية / مجيد عبد الحميد ناجي ص143

[2] الخطابة /أرسطو/ الترجمة العربية القديمة/ ط. عبد الرحمان بدوي ص221

[3] الاثر الإغريقي في البلاغة العربية/ مجيد عبد الحميد ناجي، 146

3-مسائل علم البديع:

السجع والازدواج:

أ)-**السجع** : لغة: "هو الكلام المقفى، سجع يسجع سجعا :تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة، ويقال حمامة ساجعة[1]"

اصطلاحا:" هو توافق أو تواطؤ الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر على حرف واحد"[2] ،"ومن شروطه أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة، رخمة، تابعة للمعنى وتؤلف كل واحدة من السجعات على معنى مغاير لأختها ويأتي على أربعة أضرب المطرف ،والمرصع و المتوازي و المشطر"[3]

ب)-**الازدواج**: "ضرب من من السجع، ويقال أيضا المزاوجة والمزدوج"[4] وقيل أيضا المزاوجة: "وهي أن يجمع بين الشرط و الجزاء في ترتيب لازم من اللوازم عليها معا" [5]

"وقد عقد الجاحظ بابا خاصا لهذا الفن البلاغي البديعي في كتاب البيان والتبيين، أسماه(من مزدوج الكلام)"[6] "والمتأمل في أسلوب الجاحظ يجب ان معظم كتاباته يشيع فيها الازدواج الامر الذي يدل على اعجابه بهذا الفن"[7]

---

[1] ابن منظور ،لسان العرب، مادة سجع،ج8،ص 150

[2] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين،ص 262

[3] المرجع نفسه ،ص 262،263

[4] المرجع نفسه، ص 278

[5] المرجع نفسه ،ص 279

[6] الجاحظ ،البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون،ج2، ص 116

[7] محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين،ص 279

"وقد تحدث الجاحظ عن السجع أيضا وأشار إليه في كتاب البيان والتبيين في مواضع متعددة منه، فسمى بابا فيه بإسم باب آخر من الإسجاع في الكلام"[1] ذكر فيه نماذج مختارة من النصوص الأدبية النثرية المسجوعة.

"فقال الجاحظ في حديثه عن السجع والازدواج:"(فالسجع، والمزدوج، دون القصيد والرجز)"[2] فهو هنا قد عطف المزدوج على السجع وساوى بينهما وقارب وكأنه يريد بينهما رابطا مشتركا وكأنهما من باب واحد.

"لقد تكلم أرسطو في كتابه (الخطابة) على ما يقابل السجع في كلام العرب ورافق بينه وبين الكلام المزدوج غير الشعر. فمما قاله أرسطو(وينبغي أن يكون متناهيا بشيء وليس بوزن، فإن الذي لا يتناهى ليس بالذي وهو خفي مشكل وكل شيء من الكلام يتناهى إلى عدد ونهاية والعدد إذا طبق على شكل المقالة فهو النبرة، والأوزان أقسام له . فقد ينبغي لذلك ان يكون للكلام نبرات، واما وزن فلا، لأن الوزن فيوئطي)"[3] .وقال في موضوع اخر:"(وأما المقالة فينبغي أن تكون مفصلة أو مقطعة وهي بالرباط واحدة ، كالذي يكون في وزن الديثرامبو، فإن فيه تلبثا وكدورا تشبه كدور العلماء من الفيوئطيين)"[4] ثم يقول"(فأما المقال الدوري فهو العاطف وقد اعني بالمنعطف المقال الذي يكون بدؤه وآخره شيئا واحدا، ويكون ذا قدر معتدل. فالذي هو بهذه الحال قد يكون لذيذا يسير التعليم، وهو لذيذ لأنه يكون على خلاف ما عليه ذلك الذي لا يتناهى إلى شيء وكذلك لأن السامع يرى أنه يسهل حفظه، وذلك من أجل أن له عددا، فإن المقال المتعاطف قد يحفظ أكثر من جميع الكلام. ولذلك ما صار الكلام الموزون يحفظه كل واحد ولا سيما ما كان مبددا مفرقا، وذلك أن له عددا يوزن به)"[5]

---

[1] الجاحظ ،البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون،ج1، ص 278

[2] المصدر نفسه، ص288

[3] الخطابة لأرسطو /الترجمة العربية القديمة/ ط عبد الرحمان بدوي،ص200

[4] الجاحظ ،البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون ،ص207

[5] المصدر السابق ص208

فأرسطو إذن قد عرف الكلام المنثور الموزون الذي لا يخرج الى حد الشعر وأن من صفات هذا الكلام المنثور الموزون أن تكون عباراته منتهيه بشيء وهذا ما نسميه باصطلاحنا المتأخر ب(الفواصل) وأن هذا الكلام سيكون أسهل حفظا من الكلام المرسل وهذه الصفات التي ذكرها تنطبق على كل مما نسميه ب(السجع)و(الازدواج)[1]

[1] بنظر إلى كتاب الأثر الإغريقي في البلاغة العربية /عبد الحميد ناجي ص136-137

الخاتمة

لقد تناول هذا البحث الذي اهتم بالموضوع الأدبي «الجاحظ بين الأصالة والمؤثرات الأجنبية » عددا كبيرا من النقاط الهامة والعناصر الادبية والبحثية التي تم من خلالها التوصل إلى نتائج هامة جدا لن تفيد الباحثين والدارسين في هذا المجال فحسب، وإنّما من شأنها أن تفتح الطريق أيضا أمام عدد هائل من الدراسات والأبحاث الأخرى من أجل تعزيز فوائد وتطبيقات واستخدامات هذا الموضوع الأدبي الهام .

- يعتبر الجاحظ اديب وعلّامة عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها، كان ثمة نتوء واضح في حدقتيه فلقب بالحدقي ولكنّ اللقب الذي التصق به وطارت شهرته في الأفاق هو الجاحظ.
- كان الجاحظ في بداياته يعيش حياة بسيطة ،فقد نشأ في طبقة إجتماعية فقيرة يكتسب قوته من عمل يديه .
- تكونت لدي الجاحظ ثقافة هائلة ومعارف طائلة عن طريق إلتحاقه بحلقات العلم ، فكان أكثر الرّجال علما ، كتب في علم الكلام والأدب والسياسة والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة وغيرها فقد أبدع فيها جميعها، وتكوّنت لديه ثقافة متنوعة وغزيرة.
- للجاحظ كتب كثيرة تجمع بين العلم والفائدة والبراعة في التعبير وسحر البلاغة في الأسلوب، ترك نحو ثلاثمائة وستين مؤلّفا أبرزها :الحيوان الذي وضع في علم الحيوان وكتاب البيان والتبيين الذي تناول موضوعات متفرقة كعلم الأدب وفن القول والبيان والبلاغة والفصاحة بالإضافة إلى كتاب البخلاء الذي كان عبارة عن وصف للحياة الإجتماعيّة في الدولة العباسيّة .
- يعتبر العصر العباسي أزهى العصور الذي غدى أهم مركز حضاري في العالم ، فكان مقصد الحركة الفكرية والعلمية والأدبية والتي تمثلت هذه الأخيرة في نبوغ عدد من الشعراء والكتّاب ، واتسام نتاجهم المظوم والمنثور بملامح الجدة والطرافة .

- كانت للثقافات الأجنبية أثر كبير في تغيير العادات والقيم والمفاهيم في المجتمع العربي والعباسي مكونة حضارة عربيّة إسلاميّة .
- كانت للمعتزلة تأثير كبير على فكر الجاحظ، فكل ما طرحه الجاحظ من قضايا ادبية أو نقدية أو بلاغية لا نفهمها إلا في إطار عقيدته الإعتزالية .
- قضية اللفظ والمعنى قضية بارزة على مستوى النقد الأدبي تكل عنها الجاحظ وأعطى لها مقدارا كبيرا في كتاباته وأعطى العناية والإهتمام للفظ ولكن دون اهمال المعنى وإنّما الاهتمام به وهذا الإهتمام لا يطغى على الصياغة اللفظية.
- السرقة الادبية لا تكون في المعنى المطلق الواحد مع الإختلاف في ألفاظه وإنّما في المعنى الغريب الشريف المختلف الذي يعبر عنه صياغة وأسلوبا حسب رأي الجاحظ.
- الأدب يحكم حسب جودته ، لا حسب الزمن الذي قيل فيه الموقف الذي جاء به الجاحظ في قضية القدم والحداثة.
- يظهر التأثير الفارسي في النقد العربي في شكلين :

أولا : الألفاظ فالمتابع للأثر الفارسي في النقد العربي لا يجد له أثرا غير جانب الألفاظ التي نقلت من الفارسية إلى العربية من خلال النصوص الأدبيّة، وممن حمل روح الثقافة الفارسية في نصوصه لكنه في الوقت ذاته لايتكلم عنها في مقام العقل والفلسفة في حديثه عن النقد.

ثانيا : الترجمة حيث تمثل الثقافة الفارسية الوسيط لوصول الفكر اليوناني إلى العالم العربي في العصر العباسي وكان لها دور كبير في اتصال النّاقد العربي الجاحظ بالفكر اليوناني وإطلاعه على كتب أعلامه مثل أفلاطون وأرسطو .

- كانت علوم الهند وفنونهم القديمة منها والتي ظهرت في العصور الوسطى معروفة لدى معاصريهم من العرب المتعلمين وذلك عن طريق ترجمة الكتب الهندية إلى العربية، واشتهرت بلاد الهند في

العصر العباسي بأنها بلد الفلسفة والعلوم و أقر الجاحظ بتقدمهم في علم الفلك والحساب والطب وفي وصفه لهم يقول :"الهند أصحاب حكمة ونظر ".

- يظهر التأثير اليوناني في النقد العربي بشكل واضح في الآراء النقدية لعدد من النقاد القدامى منهم الجاحظ الذي تأثر كثيرا بالفلسفة اليونانية وخاصة بكتاب "فن الخطابة" لأرسطو فقد لاقت مؤلفات أرسطو لاسيما في المنطق إقبالا من العرب المسلمين على ترجمتها وقراءتها وتعلمها ، إذن فالعصر العباسي كلن له الأثر الكبير في تكوين ثقافة الجاحظ .

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر

1. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الجزء الاول (الطبعة الاولى1335هـ-1907م)
2. ابن مظور، لسان العرب،(طبعة دار صادر للطباعة و النشر، بيروت 1375هـ 1955م)
3. أبي عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة لجنة التاليف القاهرة 1367هـ 1948م)
4. أبي عثمان الجاحظ ، الحيوان، (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي،مصر)
5. أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ط عبد الرحمان بدوي

المراجع

1. إحسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب (دار الثقافة، لبنان، الطبعة الأولى)
2. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي(مكتية النهضة المصرية، الطبعة العاشرة1994م)،
3. أحمد الودرني ، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب (ط 1424،01هـ-2004م دار الغرب الإسلامي)
4. أحمد أمين ، النقد الأدبي (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2013/08/26، القاهرة)
5. أحمد أمين ، ضحى الإسلام(القاهرة بمصر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،2013)
6. أدونيس، الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع ج1(دار الساقي، بيروت،لينان،1994)
7. بدوي طبانة، السرقات الأدبية دراسة في إبتكارالأعمال الأدبية وتقليدها(نهضة مصر القاهرة)
8. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي(الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1992)
9. حسن السندوبي، ادب الجاحظ(القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد بمصر،1350هـ-1931م)

10. حمادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السّادس(منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسميّة للجمهورية التونسية،1981)

11. حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (طبعة ثانية منقحة و مزيدة، المطبعة البوليسية AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT1953)

12. شارل بلّار، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء, ترجمة إبراهيم الكيلاني(دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر , دمشق,1961)

13. شفيق جبري ،الجاحظ معلم العقل و ادب(ملتزم الطبع والنشر،دار المعارف بمصر)

14. شوقي ضيف، النقد الأدبي (دار المعارف1119 كورنيش النيل، القاهرة)

15. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العباسي الاول(الطبعة الثامنة، دار المعارف-1119كورنيش النبيل القاهرة ج.م.ع)

16. شوقي ضيف، تاريخ الادب في العصر العباسي الثاني(الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر1119كورنيش النيل، القاهرة ج.م.ع)

17. عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1391هـ-1972م)

18. عبد المجيد جحقة، سطوة النهار وسحر الليل الفحولة وما يوازيها في التصور العربي(دار توبجال للنشر،1996، الدار البيضاء، المغرب)

19. عزة السيد أحمد, فلسفة الأخلاق عند الجاحظ(منشورات كتاب العرب, دمشق, المكتبة الإلكترونية أطفال الخليج ذوي الإحتياجات الخاصة,2005)

20. فالح الربيعي تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم(الدار الثقافية للنشر)

21. فوزي السيد عبد ربه عيد ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين (مكتبة الأنجلو المصرية ،مطبعة أبناء وهبه حسان ،القاهرة ،2005)

22. مجيد عبد الحميد ناجي ، الاثر الاغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز(مطبعة الآداب. النجد الاشرف، ساعدت جامعة بغداد على نشره،1396هـ-1976م)

23. محمد الشريدة ، قضايا النفد الأدبي في القرن الثالث الهجري (دار الينابيع 2004، عمان ، الطبعة الأولى 2005)

24. محمد الصغير بنّاني، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، (ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983)

25. محمد الكتاني ، الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث،ج1(دار الثقافة ، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 1402هـ-1982م)

26. محمد حسين الأعرجي ، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي(سلسلة عصمى الثقافية للنضر والتوزيع، القاهرة)

27. محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية تنظم المعرفة في الثقافة العربية (مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان)

28. محمد عبد الغني المصري ، أثر الفكر اليوناني على الناقدين الجاحظ وقدامة ابن جعفر(دار حدلاوي للنشر و التوزيع، عمان ،الاردن)

29. محمد عبد الغني المصري، نظرية أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي(دار حدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبع الأولى 1407هـ-1987م)

30. محمد علي زكي صباغ ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين (المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت ،صيدا،الطبعة الاولى، 1418هـ 1998م)

31. محمد مصطفى هدارة، مشكلة السّرقات في النقد العربي(مكتبة الانجلو المصرية،1958م)

32. وديعة طه نجم ، الجاحظ و النقد الأدبي(قسم اللغة العربية و آدابها –جامعة الكويت ، حوليات كلية الآداب الحولية العاشرة -1409هـ-1988م)

المذكرات

1. أبرادشة صارة ، تنقل المعنى في النقد العربي القديم من خلال نقد السرقات في المثل السائرلإبن الأثير (مذكرة الماستر ، منشورة ، جامعة آكلي محند اولحاج ، البويرة، 2015-2016)
2. أمزيان سهام، تطور المصطلح النقدي ، دراسة نقدية تناصية لسرقات أبي تمام(مذكرة ماجستير، منشورة ، جامعة وهران،2014-2015).
3. انتصار عمر محجوب ادريس، حركة النقد الأدبي في العصر العباسي الأول(رسالة الماجستير، منشورة، جامعة أم درمان، السودان،1427هـ-2006م)
4. نبيلة لخمي، عمرية بوفتر، دلالات الهزل في كتابات الجاحظ البخلاء نموذج ، جامعة آكلي محند اولحاج,البويرة2009-2010

مقدمة 3

المدخل:الجاحظ و الحضارة العباسية 8

*الجاحظ..... 9

مولده:..... 9

نشأته و حياته:.....10

منزلة الجاحظ العلمية : 12

آثاره:.....13

1)الحيوان:.....14

2)البيان والتبيين : 14

3)البخلاء: 15

*الحضارة العباسية:.....16

*أثر الثقافات الأجنبية في الحضارة العباسية:.....18

الفصل الاول:اصالة الجاحظ.....20

المبحث الأول: النقد الادبي عند الجاحظ 21

المبحث الثاني: القضايا النّقديّة عند الجاحظ.....21

المبحث الأول: النقد الادبي عند الجاحظ 22

المبحث الثاني: القضايا النّقديّة عند الجاحظ.....37

قضية اللفظ والمعنى.....37

قضية القدم والحداثة.....51

الفصل الثاني:الجاحظ و المؤثرات الاجنبية 57
معرفة الجاحظ بعلوم الأوائل: 58
الثقافة الفارسية :.....59
الثقافة الهندية : 63
الثقافة اليونانية:.....67
ملامح النظرية الأرسطية في الفنية والأدبية: 70
المصطلحات البلاغية عند الجاحظ وأرسطو :.....74
الخاتمة.....87
قائمة 91
المصادر والمراجع 91

ملخص:

يعتبر الجاحظ ذلك الناقد البارع في الأصالة العربية من خلاله تفكيره الإعتزالي فتحدث عن البيان العربي و إعتبره نعمة من نعم الله سبحانه و تعالى و هو أكبر واجة للوجود الإنساني، و كذلك إهتمامه بالقضايا النقدية منها قضية اللفظ و المعنى كأهم قضية عربية شغلت الحيز الكبير من إهتمام النقاد و الباحثين فالجاحظ وسع في حديثه عن حديثه عن هذه القضية و أعطى العناية للفظ في الشعر خاصة و قضية السرقات الأدبية فالسرقة عند الجاحظ تكون في المعنى المخترع لا المعنى المشترك أما قضية القدم و الحداثة فاعتبر الجاحظ أن الأدب لا يحكم حسب الزمن الذي قيل فيه و إنما في جودته أما في البيئة الغير عربية فقد تأثر الجاحظ بالثقافة الفارسية من خلال الألفاظ وز حركة الطرجمة كما تأثر بالثقافة الهندية و أقر بتقدمهم في علم الفلك و الحساب و الطب أما بخصوص الثقافة اليونانية فكان تأثيره على الجاحظ بشكل كبير و خاصة تأثره بكتابي (الخطابة) و (الشعر).

الكلمات المفتاحية: الجاحظ، الأصالة، المؤثرات الأجنبية.

Résumé :

Al-Jahiz considère que le critique habile de l'originalité arabe à travers sa pensée Mu'tazila, il a donc parlé de la déclaration arabe et la considérait comme une bénédiction de Dieu Tout-Puissant et le plus grand visage de l'existence humaine, ainsi que son intérêt pour les questions monétaires, y compris la question de la prononciation et du sens comme la question arabe la plus importante qui a occupé un grand espace d'attention Critiques et chercheurs, Al-Jahiz a développé son discours sur cette question et a accordé une attention au terme dans la poésie en particulier et la question des vols littéraires Selon Al-Jahiz, le vol est dans le sens inventé, pas dans le sens commun. Quant à la question de l'antiquité et de la modernité, Al-Jahiz considérait que la littérature ne se juge pas selon l'époque à laquelle elle a été dite et mais dans sa qualité, mais dans un environnement non arabe, Al-Jahiz a été influencé par la culture persane à travers les mots et le mouvement Tarjama, ainsi que par la culture indienne et a reconnu leurs progrès en astronomie, arithmétique et médecine. L'impact sur Al-Jahiz a été considérable, en particulier son influence sur mon livre (L'Oratoire) et (la poésie).

Mots-clés : Al-Jahiz, originalité, influences étrangères.